جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي موسومة بـ:

إمارة ابن مردنيش ودورها السياسي والعسكري في الأندلس على عهد الموحدين (542هـ-576هـ)، (1148م-1171م).

إعداد الطالبين:
بوزيـــري ميـــر
بن امحمد زهـرة

تحت إشراف الأستاذ:
أ. طويلب عبد القادر

لجنـــــة المنـــاقشة

أ. ركـــــــة عمـــــــر	رئيســـــــا
أ. طويلـــــــب عبـــــدالقادر	مشرفا ومقررا
د. حاكـــــمي الحبـــــيب	عضـــــــوا

الموسم الجامعي: (1438– 1439هـ) **الموافق لـ(2017– 2018م)**

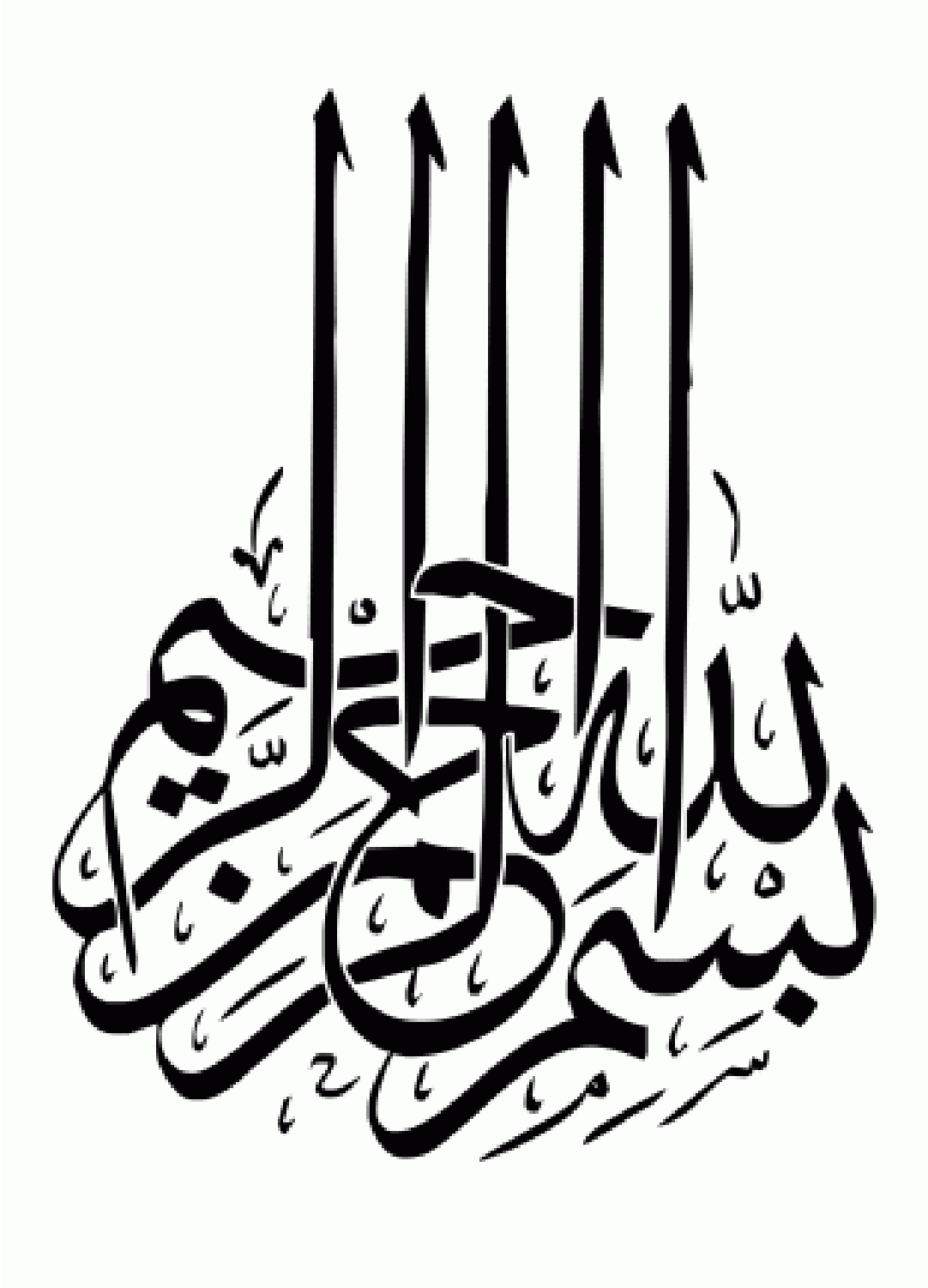
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى من قال فيهما ربنا:

﴿ وَقضى رَبُكَ ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾.

إلى من سرنا لقاؤهم وأنسنا ذكرهم وكانوا قدوة المحبة والخير

إلى من شجّع ونصح وعلّم

إلى جميع الإخوة والأخوات

إلى كل الزملاء وطلاب العلم

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

- إلى كل من أحب العلم ويقدر جهد طالب العلم-

تشكرات

في البداية وقبل كل شيء نشكر الله عزّ وجل على كل النعم

وعلى توفيقه لنا لإتمام هذا العمل، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى:

- كافة أساتذة الكلية على كل ما قدموه لنا طيلة فترة تمدرسنا بهاته الجامعة.

- الأستاذ المؤطر" طويلب عبد القدر " على حسن توجيهها لنا وعلى كل الدعم الذي قدمته لنا.

- كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

ولا ننسى في الأخير توجيه تحياتنا وشكرنا إلى كل من اتخذناهم مرجعا في هذه المذكرة.

قائـمة المختصرات

ج : جزء.

تر: ترجمة.

تح: تحقيق.

ط: طبعة.

ع: عصر.

ق: القسم.

ص: صفحة.

د ت: دون تاريخ.

د ط: دون طبع.

هـ: هجري.

م: ميلادي.

مقدمة

مقدمة:

عرفت بلاد الأندلس والمغرب قيام العديد من الدول من بين هذه الدول دولة المرابطين التي ورغم قصر فترة حكمها إلا أنها تمكنت من فرض الهيبة الإسلامية والتصدي للممالك النصرانية غير أن هناك ظروف داخلية وأخرى خارجية حالت دون استمرار قيامها حيث كثرت التمردات والمعارضات والحروب الداخلية، قامت علي أنقاضها دولة الموحدين والتي تعتبر هي الأخرى من أعظم الدول الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، نظرا لدور الكبير الذي لعبه زعمائها في فرض سيطرتهم والتصدي للعدوان الداخلي والخارجي، إلا أن الصراع الذي نشب بين المرابطين والموحدين أدى إلي حدوث فراغ سياسي كانت نتيجته قيام إمارات منفصلة من بينها إمارة محمد بن سعد بن مردنيش (542هـ-576هـ)، (1148م-1171م) في الشرق الأندلسي.

و كان من دواعي اختيارنا للموضوع:

- الإطلاع على أهم التطورات التي عرفتها الأندلس في هذه الفترة الانتقالية .

- الكشف عن جوانب متعددة من حياة الأمير ابن مردنيش التي انتابها الغموض .

- معرفة الدور الذي لعبه محمد بن سعد بن مردنيش في تأسيس إمارته ومدى تأثيره على بلاد المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين .

ونظن أن هذه الأسباب والدوافع قد تكون كافية لاختيارنا لهذا الموضوع لإثرائه بالبحث ليكون موضوع دراستنا.

مقدمة

تم اختيارنا لهذا الموضوع لأنه يكتسي أهمية بالغة في تاريخ الأندلس بسبب ما عرفته من تطورات في هذه المرحلة الانتقالية فابن مردنيش كغيره من الزعماء والمغامرين الذين حاولوا ملأ الفراغ السياسي والتطور العسكري الذي أعقب سقوط الدولة المرابطية.

وتضمن الموضوع إشكالية كانت كالأتي:

كيف قامت إمارة ابن مردنيش؟ وماهو دورها السياسي والعسكري في شرق الأندلس؟

وللإجابة علي هذه الإشكالية طرحنا التساؤلات التالية:

1. من هو ابن مردنيش ؟
2. ماهي العوامل والتحالفات التي دفعته إلى السياسة الانفصالية وطلب الملك ؟
3. هل استطاع ابن مردنيش ملئ الفراغ السياسي في الأندلس ؟
4. كيف تطورت علاقته بالموحدين ؟

اعتمدنا في دراستنا لهذه الشخصية علي **المنهج التاريخي** من خلال وصف الحالة التي ميزت عصر ابن مردنيش إضافة إلى المنهج **التحليلي التفسيري** من خلال تفسير خروج بعض وزرائه وأقربائه عليه .

قسمنا بحثنا هذا من خلالها الموضوع إلى مقدمة ومدخل وفصلين ويحتوي كل فصل أربعة مباحث.

فالمقدمة تحتوي على تعريف للموضوع ومدى أهميته أما المدخل فقد تضمن أوضاع السياسية والعسكرية قبيل قيام إمارة ابن مردنيش.

فالفصل الأول:جاء بعنوان إمارة ابن مردنيش في شرق الأندلس وقسم إلى أربعة مباحث فالمبحث الأول تضمن حياة ونسب محمد بن سعد بن مردنيش أمّا المبحث الثاني فخصص لظروف قيام إمارة ابن مردنيش والتي تمثلت في نهاية المرابطين وقيام دولة الموحدين أما المبحث الثالث خصصناه للعوامل التي أدت إلى قيام إمارة ابن مردنيش أما المبحث الرابع تحت عنوان تأسيس إمارة ابن مردنيش.

أما **الفصل الثاني**: جاء بعنوان الدور السياسي والعسكري لإمارة ابن مردنيش قسم إلى أربعة مباحث، المبحث الأول بعنوان تأسيس علاقته بملوك النصارى أما المبحث الثاني عنون بصراع ابن مردنيش مع الموحدين وعنون العنصر الثالث بتوسعات ابن مردنيش في الأندلس وصراعه مع الموحدين. أما العنصر الثالث فجاء بعنوان ضعف المملكة المردنيشية والمبحث الرابع إعلان الولاء للموحدين.

وانتهينا في الأخير إلى خاتمة خلصنا فيها لأهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث والإجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدمة والتساؤلات المتفرعة عنها، إضافةً لمجموعة من الملاحق.

لقد تعددت المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا لهذه الشخصية وكانت هناك بعض المؤلفات بمثابة القاعدة الأساسية التي قامت عليها دراستنا والتي تبرز لنا سيرة ابن مردنيش وعلاقاته مع الموحدين والممالك النصرانية ومن هذه المؤلفات نذكر:

- ابن صاحب الصلاة (594هـ-1198م)، **المن بالإمامة** ، تح ، عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، 1964م يعتبر من أهم وأثمن المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث ويعود ذلك إلى أن عبد الملك بن صاحب الصلاة كان معاصرا للحوادث التي جرت خلال النصف الأول من عصر

الموحدين إضافة إلى أنه كان مقربا من الخلفاء الموحدين لهذا كان عالما بأدق الأمور فيها وقد اعتمدنا هذا الكتاب في دراسة علاقة ابن مردنيش السياسية مع الموحدين وأيضا علاقته مع أقربائه ووزرائه.

- عبد الواحد المراكشي،المتوفي سنة 647هـ ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان ، يعتبر أيضا من أهم الكتب التي اعتمدنا عليها في البحث واستفدنا من الكتاب كثيرا فيما يتعلق بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين بالمغرب.

- أبي بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م يعتبر من المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها أحد تلامذة محمد بن تومرت الذي عاصر الأحداث وشارك في بعضها واعتمدنا عليه في الصراع بين المرابطين والموحدين.

- أبو عبد الله محمد القضاعي المعروف بابن الآبار توفي سنة (658هـ- 1360م) ،**الحلة السيراء** تح:حسين مؤنس،سنة 1963م من أهم كتب التراجم التي اعتمدنا عليها كثيرا وأفادنا في دراسة ثورات الأندلسيين على المرابطين في أواخر دولتهم فقد تضمن معلومات مفصلة في هذا الموضوع كما أنه عاصر الدولة الموحدية.

أما بالنسبة إلى المراجع فيأتي في مقدمته:

- محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، حيث يتميز هذا المرجع بوفرة المعلومات وكثرة الروايات والتعليق عليها، وقد أفادنا هذا الكتاب في الغزوات والمعارك التي جرت بين الموحدين وابن مردنيش أمير شرق الأندلس.

– عبد الله على علام، **دولة الموحدين بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، يتصف بأسلوبه السهل ومنهجه الواضح وقد أفادنا هذا الكتاب في دراسة سقوط المرابطين، والثورات التي قام بها الأندلسيين على المرابطين في أواخر دولتهم.

لا يخلوا أي بحث في التاريخ من الصعوبات لورود بعض الأخبار المتناقضة واكتناف الغموض للبعض الآخر ،فالباحث في شخصية محمد بن سعد بن مردنيش لابد وأن يجد من الصعوبات ربما لا يجدها في غيره من الشخصيات وذلك لكثرة تضارب الآراء فيما يخص نسبه وطريقة وفاته وأيضا في مصير عائلته بعد وفاته مما يوقع الباحث في حيرة ، أيضا قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن شخصية الأمير محمد بن سعد بن مردنيش ، إضافة إلى تكرار نفس المعلومات عنه في جميع المصادر والمراجع، لكننا وبفضل الله وتوفيقه وتوجيه الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بالمساعدة في تفكيك الكثير من القضايا ، وهو ما مكننا من تخطيها وتجاوزها.

عاشت الأندلس في صراعات قائمة بين ملوك الطوائف وأخرى مع المماليك النصرانية مما كان لابد للمرابطين من التدخل للفصل في مصير الإسلام في الأندلس وقد بسط المرابطون حكمهم من489هـ حتى541هـ بأمر من أهل الأندلس لما لحقهم من سوء تسير من ملوكهم.

الأوضاع السياسية والعسكرية قبل تولي ابن مردنيش:

بعدما ساءت أحوال ملوك الطوائف[1] واختلافهم فيما بينهم، أفتى مجموعة من أعلام المغرب والأندلس يوسف بن تاشفين من أجل ضم الأندلس وتوحيدها، بل أفتاه بذلك أكابر علماء المشرق منهم: أبو حامد الغزّالي505هـ، وأبو بكر الطرطوشي 520هـ[2] وقد أجاب ابن تاشفين النداء وعبر إلى الأندلس للمرة الثالثة سنة 483هـ، واتجه إلى طليطلة التي احتلها القشتاليون، ولما رآها مستعصية توجه صوب الجنوب فحاز غرناطة في نفس السنة،[3] وبعد عودته إلى المغرب أتمّ قواده مسيرته، فأخضعوا قرطبة سنة 484 وكانت تابعة لحاكم إشبيلية المعتمد بن عباد،[4] ثم اتجهوا نحو إشبيلية فاستطاعوا دخولها بعد

1- ملوك الطوائف: هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود سنة 422 هـ لما أعلن سقوط الدولة الأموية في الأندلس مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس بناء دولة منفصلة،العبادي أحمد بن مختار ، **صور في حياة العرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعرف، الإسكندرية، ط1 ،2000 ،ص 22.

2- ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي** . تحقيق: خليل شحادة. الناشر: دار الفكر، بيروت. ط2، 1408 هـ - 1988ص249.

3-يوسف أشباح، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين**، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة 1997، ج1، ص134.

4- ابن أبي زرع ، **روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط صور للطابعة والوراقة، 1972،ص159.

معركة مع جيش القشتاليين الذين جاؤوا بدعوة من المعتمد بن عباد، وأُسر المعتمد ونفي إلى أغمات ضواحي مراكش وتوفي هنالك سنة 488هـ، وقبره هناك معروف إلى يوم هذا.[1]

وبعد ذلك تتابع سقوط دويلات الأندلس بيد المرابطين، ففي نفس السنة حازوا ألميرية[2] ومرسية،[3] وشاطبة،[4] وفي سنة 495هـ استطاعوا فتح بلنسية التي كانت تحت حكم القشتاليين، وفي سنة 500هـ توفي يوسف بن تاشفين وكان قد عهد الولاية لابنه علي بن يوسف شريطة أن يقيم بالأندلس جيشا مرابطا ثابتا، فعهد إلى أخيه تميم بن يوسف بمواصلة الجهاد بالأندلس سنة 501هـ، حيث فتحوا مدينة أقليش بعد معركة سميت معركة أقليش التي سُحق فيها الجيش القشتالي.

ودخلت بعدها سرقسطة في إمارة المرابطين، وفي سنة 503هـ انتزع حصن طلبيرة[5] وغيره من القشتاليين وبهذا أصبحت الأندلس ولاية تابعة للمغرب، واختفت رياسة الأسر الأندلسية، ودام ذلك

---

[1]–حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**،دار الرشاد 2004، ص231

[2]– ألمرية: مدينة بالأندلس تقع في الشاطئ المتوسط جنوب شرق غرناطة، لسان الدين الخطيب **الإحاطة في أخبار غرناطة** مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977 ص 99.

3–.مرسية:هي مدينة تقع في جنوب شرق إسبانيا، على ضفاف نهر شقورة، مطل على البحر الأبيض المتوسط، هي عاصمة منطقة مرسية ، أسسها عبد الرحمان الداخل عام 825 م ومن أهم شخصياتها في التاريخ الإسلامي ابن العربي ابن سيده وأبو العباس المرسي وشرف الدين المرسي وابن مردنيش وزيان بن مدافع الجذامي، النشار محمد محمود ، **علاقة مملكتي قشتالة أراغونة سلطنة المماليك**،ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، القاهرة،ص 123.

[4]– شاطبة: بناها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لها ثلاث أقاليم في كل إقليم أربعون قرية وهي ذات خيرات وافرة بمقصبة عظيمة ومنيعة، الحميري ، روض المعطار في خبر الأقطار،تح إحسان عباس ، مؤسسة ناصر ثقافي، لبنان 1979،ص 98.

[5]– طلبيرة: مدينة بالأندلس على ضفاف نهر تاجة تنتشر حولها مطاحن الحبوب على الماء و هي أقصى ثغور المسلمين و منها يدخل إلى بلاد النصارى،**الحميري، مصدر سابق** 95.

تقريبا نصف قرن، لكن لم يهنأ المرابطون بحكم الأندلس؛ فقد قامت ثورات داخلية، ومناوشات صليبية طيلة فترة حكمهم، خاصة بعد انشغالهم بفتنة دعوة الموحدين في المغرب.

فكان من نتائج ذلك أن سقطت سرقسطة سنة 512هـ واحتلها الصليبيون بعد حصار طويل وقتال اشتركت فيه ممالك إسبانية وفرنسية. [1]

وفي سنة 515هـ ظهرت ثورة بقرطبة[2] على المرابطين، عبر على إثرها علي بن يوسف بجيشه وحاصرها، فشكوا إليه ظلم الولاة ورفعوا لواء الدفاع عن الحرم والدماء والأموال، فصالحهم وأخمد ثورتهم[3].

وبدأ النصارى المعاهدون بالأندلس يثيرون الفتن باستدعاء ابن ردمير الفرنجي وتقويته على المسلمين، فصال وجال في بلاد المسلمين نهبا وقتلا وتدميرا ورجع إلى بلاده دون الاستلاء على شيء منها، فجاز على إثر ذلك القاضي أبو الوليد بن رشد 520هإلى علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش وطلب منه التدخل، وأفتاه بتهجير المعاهدين لما قاموا به من الخيانة ونقض العهود، فنفاهم إلى مكناسة وسلا وغيرها من بلاد المغرب، كما طلب منه القاضي عزل أخيه أبي الطاهر تميم، أمير غرناطة وقائد الجيوش المرابطية بالأندلس.

---

[1]–ابن خلدون **مصدر سابق**،ص210

[2]- قرطبة: قاعدة بلاد الأندلس وكانت عاصمة البلاد في عهد ملوك بني أمية والحجاب العامريون، كما كانت محل صراع كبير أثناء فترة الطوائف، تمتاز بجامعة الشهير تقع شرقي إشبيلية حوالي 123كلم، الحميري، الروض المعطار ص153 ص158.

[3]– ابن عذاري المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال. الناشر: دار الثقافة، بيروت. ط3، 1983ص57

وفي سنة 522هـ عين علي بن تاشفين ابنه تاشفين واليا للأندلس، إذ ولاه غرناطة، وألمرية وقرطبة. وخاض بعدها المرابطون عدة معارك انتصروا فيها على قشتالة وأرغون. [1]

وفي سنة 528هـ جهز ملك قشتالة ألفونسو السابع جيشاً ضخماً، واتجه صوب بطليوس، والتقى بهم تاشفين بن علي قرب سهل الزلاقة وهزمهم، كما هزمهم في مواقع أخرى.

وثارت بلنسية سنة 535هـ ومرسية. فاشتعلت نار الثورات في الأندلس من شرقها إلى غربها، فقامت ثورة في ميرتلة وشلب وباجة وغرناطة وقرطبة سنة 539هـ وتوفي علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ، وولي بعده ابنه تاشفين بن علي، الذي توفي بعدها بسنتين، فكانت ولايته كلها حروب ومعارك ضد الموحدين بزعامة عبد المؤمن بن علي، تلميذ المهدي بن تومرت وخليفته من بعده.

قال ابن الأبار[2]: "وَفِي سنة تسع وثلاثين أخذت دولة الملثمين فِي الانتقاض والانقراض"

وبوفاة إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين سنة 541هـ آخر خلفاء المرابطين انتهت دولتهم وقامت على أنقاضها دولةُ الموحدين، وورثوا منهم ديار الأندلس والمغرب وقد بدأت دعوة الموحدين على يد المهدي بن تومرت المصمودي، الذي طاف ديار المشرق، وأخذ عن جمع من العلماء كالكي الهراسي والغزَّالي وغيرهم، وتزهد وجمع خليطا من المعتقدات الفاسدة، حيث ادعى النسب العلوي الحسني والعصمة، والمهدوية.

---

[1]– ابن الآبار ،**الحلة السيراء** ،تحقيق :حسين مؤنس.ج2، القاهرة:دار المعرفة ،ط2،1985ص15

[2]–ابن الأبار، **مصدر سابق**، ص250

ودرس علم الكلام فأدخل العقيدة الأشعرية للمغرب، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت بداية دعوته سنة 514هـ وسمى جماعته بالموحدين[1].

وبوفاته سنة 524هـ، وورث دعوته تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي، وخاض صراعا طويلا مع علي بن يوسف بن تاشفين وأبنائه من بعده حتى تمّ له الأمر سنة 541هـ[2].

و يمكن أن نحصر الأوضاع السياسية على سبيل الإجمال. وقد يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل بارزة المعالم وهي:

المرحلة الأولى: وتمتد من عبور يوسف بن تاشفين للأندلس للمرة الثالثة سنة 483هـ إلى ظهور دعوة المهدي بن تومرت سنة 514هـ. واتسمت هذه المرحلة بقوة المرابطين، واتساع فتوحاتهم وحيازتهم للمدن الأندلسية.[3]

المرحلة الثانية: من ظهور دعوة الموحدين إلى وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ. والمعالم الواضحة لهذه المرحلة هي كثرة الفتن والصراعات مع الموحدين من جهة، ومع الثورات الداخلية بالأندلس من جهة أخرى، ومع الصليبيين الذين أعلنوا عن حروب الاسترداد من جهة ثالثة.[4]

---

[1]- ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة. دت، ص114

[2]-أحمد بن يحي بن أحمد بن أبي جعفر الضبي ،**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.ص82

[3]-حسين مؤنس، مرجع سابق،ص233

[4]- سعدون عباس نصرالله ،دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين .بيروت :دار النهضة العربية ط1 1985م .ص58

المرحلة الثالثة: وهي بعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ إلى مقتل آخر أمراء المرابطين وهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تاشفين سنة 541هـ. وهي مرحلة ضعف وانكماش الدولة المرابطية، واجتياح الموحدين لبلاد المغرب.

عرف حكم المرابطين للأندلس ثلاث مراحل:

مرحلة القوة: باتساع فتوحاتهم وحيازتهم للمدن الأندلسية وهي من سنة 483هـ إلى ظهور دعوة المهدي بن تومرت سنة 514هـ.

مرحلة الفتن: من ظهور دعوة الموحدين إلى وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ.

مرحلة الضعف والانقراض: وهي بعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ إلى مقتل آخر أمراء المرابطين وهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تاشفين سنة 541هـ.[1]

و بعد هذه الأحداث كان الوضع مناسبا لتقسيم الأندلس و كان ابن مردنيش في هاته الفترة يسعى إلى الانفصال السياسي و العسكر ي بشرق الأندلس.

[1]- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص234

المبحث الأول: نسبه وحياته

1- ترجمة محمد بن مردنيش:

تعتبر شخصية الأمير محمد بن سعد بن مردنيش،من أبرز الشخصيات الثائرة في الشرق الأندلسي وأخطرها،إلا أنه يلفها الغموض من حيث نسبها وانتمائها،لكن لم تحضى هذه الشخصية بترجمة مفصلة عن حياته، في كتب التراجم ولهذا نجد اختلاف كبير في ذلك من قبل المؤرخين والباحثين.

- **مولده ونسبه:**

هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش،[1] ولد بقلعة بنشكلة[2] سنة 518هـ-1124م، وهي إحدى قلاع طرطوشة[3] المنيعة، أما والد ابن مردنيش فقد كان

[1] -مردنيش :بفتح الميم وسكون الراء ،وفتح الدال المهملة وكسر النون المثناة تحت بعدها شين معجمة ،وهو بلغة الإفرنج اسم العذرة انظر محمود مقديش ،**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**،ج1،تح:علي الرازي وآخرون ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،1988،ص466.

[2] -بنشكلة :بضم الموحدة والنون وسكون الشين المعجمة ،وضم الكاف وفتح اللام،بعدها هاء تأنيث وهي من الحصون المنيعة انظر،**نفسه** ،ص466.

[3] -طرطوشة :بالفتح ثم السكون ،ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة ،وشين معمجمة مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة ،مبنية على نهر ابره ،استولى عليها الإفرنج سنة 543هـ ،وينسب إليها احمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري الأندلسي الطرطوشي، انظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،**معجم البلدان** مج4 ، د ط ، دار صادر بيروت ، 1977،ص30.

واليا على المرابطين على مدينة إفراغة ،[1]وكان عمه عبد الله بن محمد بن سعد بن مردنيش صهر ابن عياض وعضده القوي في تأسيس إمارته. [2]

والرواية العربية تجعل ابن مردنيش ينتمي إلى جذام أي من أصل غربي ،في حين يرى بعض الباحثين أنه من أصل اسباني ،وأن جده دخل في ولاء بعض الجذامين فانتسب إليهم ،يقول حسين مؤنس :"إن مردنيش أو مراذنيش ليس اسما عربيا ،مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحة والواقع أن أصله من شبه الجزيرة ،لأن دار بطون جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بالأندلس كانت شذونة والجزيرة ،وتدمير ،واشبيلية "[3] ،ملك شرق الأندلس وما إنضاف اليهما.[4]

- **صفاته وأحواله:**

إن صفات ابن مردنيش وسلوكه حسبما تصورها الرواية العربية تؤيد انتماء ابن مردنيش إلى المولودين،[5] فقد كان شغوفا بالتشبه بالنصارى في هيئته ولباسه الضيق وسلاحه وكذلك اللجم والسروج، وكان يجيد اللغة الاسبانية ويفضل التحدث بها،كما أن عناصر جيشه وجنده تتكون من

---

[1] –إفراغة :مدينة بقرب لاردة في الأندلس من أعمال ماردة ،وهي على نهر الزيتون ،لها حصن منيع ،تملكها الإفرنج في سنة 543هـ،في أيام علي بن يوسف بن تاشفين الملثم ،انظر ،**نفسه**، ص227.

[2] –هشام أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان،1984،ص107.

[3] – أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار، ت (595هـ-1266م) ، **الحلة السيراء**، تح ، حسين مؤنس ، ج2 ط1، دار المعارف، 1963، ص232.

[4] –محمود مقديش ،**المصدر السابق** ،ص446.

[5] –المولودين :هم طبقة نشأت في الأندلس من زواج المسلمين بالاسبانيات وشكلت هذه الطبقة بمرور الزمن الغالبية العظمى من سكان الأندلس ،انظر عصام الدين عبد الرؤوف ، **تاريخ المغرب والأندلس** ، د ط، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، د ت ص82.

المرتزقة النصارى والقطلان والبشكنس والقشتال،كما بني لهم الأحياء والمعسكرات والحانات ، بل أعطى واحدا منهم يدعى بيدروا دي اثاجرا مدينة شنتمرية،[1] الشرق وسمح له بان يقيم فيها أسقفية ،وكان هو نفسه حليفا لملك قشتالة وكونت برشلونة ،وعرف ابن مردنيش في المراجع النصرانية باسم الملك لويو ،ويلقب صاحب الذكر الحميد الذي منحه الباب.[2]

عرف محمد ابن سعد بأنه غريب السيرة في الثوار ، وعظيم القوة نفسه ،شديد الأمر في تركيب بنيته ،كما عرف بشجاعته ونجابته ،أصيل الشهامة والفروسية ينادم كبار الأبطال ومشاهير الفرسان وكان يشاركهم الخمر،[3]حيث كان له يومان في كل جمعة ،الاثنين والخميس ،يشرب فيها الخمر ويجود على قواده ، وخاصته وأجناده ،كما كان يذبح البقر فيهما ويوزع لحومها على جنوده ،ويحضر القيان بمزاميرهن وأعوادهن ،وكان يتخلل ذلك لهو كثير وهكذا ملك قلوب جنده .[4]

وما نقم عليه ووصم به ابن مردنيش ،يقول ابن الخطيب: "قالوا كان عظيم الانهماك في ميدان البقالة ،واتخذ جملة من الجواري فصار يراقد منهن جملة تحت لحاف واحد وانهمك في حب القيان

---

[1]–شنتمرية :بفتح الميم ،وكسر الراء ،وتشديد الياء ،وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونة ،وهي أتقن حصون بنلونة بنيانا وأعلاها15سمكا ،مبتناه على نهر أرغون ،على مسافة ثلاثة أميال منه ،وهي مدينة متوسطة القدر بينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا ،انظر الحموي ،**المصدر السابق** ،ص367، و أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري عبد المنعم ،**صفة جزيرة الأندلس** تح: ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1988،ص114.

[2]–ابن الآبار ،ج2، **المصدر السابق** ،ص233.

[3]–لسان الدين ابن الخطيب السلماني، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تح: ليفي بروفنسال د ط ،دار المكشوف ، د ت ،ص261.

[4]–ابن الخطيب ،**الإحاطة في أخبار غرناطة** ،مج2،ط1 ، تح: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1974،ص122.

والزمر والرقص ،وقالوا كان له فتى اسمه حسن ذو رقبة سمينة ،وقفا عريض ،فإذا شرب كان يرزه ويعطيه بعد ذلك عطاء جزيلا ".[1]

استعان ابن مردنيش برجل قوي يدعى إبراهيم ابن محمد بن مفرج بن همشك ،من أصل نصراني ،صهر ابن مردنيش ومؤيدا له في رفض طاعة الموحدين ،كما داخل النصارى واستمدهم وهاجم كثيرا من المدن الأندلسية. [2]

يقول ابن الخطيب :"كان معروف الشجاعة إذا رآه النصارى في الحروب قالوا :همشك ومعناه مقطوع الأذن ،وكان إبراهيم دليلا في الأرض ،وفارسا نجدا خدم مع النصارى وتقرب إلى ابن غانية بقرطبة وسافر رسولا بين ابن حامدين وبين ملك قشتالة إلى أن تمكن من الانتزاع بحصن "شقوبش "ثم تغلب على شقورة[3] وتملكها فغلظ أمره وساوى محمد بن مردنيش وداخله حتى عقد معه صهرا على ابنته فاتصلت له الرياسة والمارة ،وكان سيفا لصهره ،مسلطا على من عصا" .[4]

[1] –ابن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،**المصدر السابق** ،ص223.

[2] –ابن الآبار ،**تحفة القادم** ،تح:د حسان عباد ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1986م ،ص107.

[3] –شقورة :بفتح أوله وبعد واو ساكنة وراء ، مدينة بالأندلس شمالي مرسية، وبها كانت دار إمارة همشك ،ينسب إليها عبد العزيز بن علي بن موسى بن عيسى الغافقي القوري ،ساكن قرطبة يكنى أبا الإصبع ،انظر الحموي ،**المصدر السابق** ،ص255 251.

[4] –ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، **المصدر السابق** ،ص 263.

- **وفاته وأسبابها:**

اختلفت أراء وروايات المؤرخين والباحثين في طريقة وفاة الأمير محمد بن سعد بن مردنيش فالرواية الأولى: تضع وفاة ابن مردنيش بمرسية وذلك خلال حصار الموحدين له ،واستخلاص معظم ما كان يملك ،ففي هذا يقول ابن الخطيب :"وظهر عليه أمر الموحدين ، فاستخلصوا معظم ما بيده وأوقعوا بجنده الوقائع العظيمة ،وحصر بمدينة مرسية ، واتصل حصاره ،فمات أثناء الحصار في عاشر رجب من عام سبعة وستين وخمسمائة ، وله ثمانية وأربعون سنة ووصل أمره ،أبو القمر هلال ، وألقى باليدين إلى الموحدين فنزل على عهد ورسوم ".[1]

في رواية أخرى يقول ابن الخطيب : "وتوالى عليه الحصار وأدركه الجهد ،ولزمته الشكاية ،فقضي عليه عقب انصرافه من منازلة جزيرة شقر، بادر إليها بعد إقلاع السيد عنها ،وعجز عن قتالها، فكر إلى مرسية عاشر رجب من عام 567 هـ واستو سقت طاعة الموحدين بالشرق وشملته دعوتهم ".[2]

يقول ابن الآبار في خبر وفاة ابن مردنيش :"لما طال على محمد بن مردنيش من السيد الأعلى أبي حفص وقل من أصحابه عونه ،اختل ذهنه ،وأوقع بوزيريه ابني الجذع بمطالبة عبد الرحمان بن سعد

[1]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،ج2،**المصدر السابق** ،ص 127.

[2]-ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، **المصدر السابق** ،ص 127.

الغرناطي،[1] صاحب المظالم له ،وعذبه وجعله في برج دون طعام ولا ماء حتى أكل ثيابه التي كانت عليه فأفرده أخوه وأصهاره،ومن ظن أنهم أنصاره ، وخرج على علته من مرسية زاعما انه سيغلب جزيرة شقر ويأخذ ابن هلال القائم بدعوة الموحدين فيها ،فوصلها واستدعى أخاه أبا الحجاج ليعينه في منازلتها فوصله وقصر به وعجزا جمعا وقيل انه مرض مرضا شديدا ومات [2] ،كما أن بعض الزاويات تذكر أن وفاة ابن مردنيش لم تكن طبيعية ،إنما انتحر بتناول السم ،وأن أمه هي التي سقته السم لأنها ساءت لأهله وكبراء دولته ،وخواصه العشرة ، فنصحته أمه وأغلظت عليه في القول وهددها فخافت بطشه ،فعملت عليه وسقته السم ، فقتلته في رجب سنة سبع وستين وخمسمائة .[3] يتفق ابن الآبار مع ابن صاحب الصلاة ومع ابن الخطيب في رواية أن ابن مردنيش توفي بعد فشله في حصار جزيرة شقر واستردادها من ابن هلال فيقول ابن الآبار :"تولى ابن هلال من المصابرة في تلك المحاصرة والمحاولة لتلك المصاولة ما أبقاه أثرا مشهورا وخبرا تداولته الألسن دهورا ،واعتل ابن سعد خلال ذلك فلحق بمرسية وألزم أخاه ملازمة البلد ،فتنفس الخناق ثم انتعشت بوفاته الأرباق ".[4]

---

[1]–عبد الرحمان بن سعد الغرناطي :ولد في سنة 518هـ ،وتوفي سنة 577هـ ،من أسرة بني سعيد المعروفة أصحاب قلعة يحصب وقد يشرف على أعمال البناء في المسجد الجامع هو وأخوه محمد ،وكان ينتمي إلى حزب ابن مردنيش ،فلما مات ابن مردنيش انضم إلى الموحدين ،انظر عبد الملك بن صاحب الصلاة ، ت(594هـ- 1198م)، **المن بالإمامة**، تح: عبد الهادي التازي ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1964،ص397.

[2]– أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خليكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،تح: د إحسان عباس مج7 ، دط ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ص 131

[3]– محمود مقديش ،**المرجع السابق** ،ص466.

[4]– ابن الآبار، **الحلة السيراء** ، **المصدر السابق** ،ص268.

بينما نجد المراكشي وهو المؤرخ المعاصر لدولة الموحدين والمقرب إلى حد ما من بعض السادة أبناء الخلفاء الموحدين يتفق مع ابن الخطيب في رواية أن ابن مردنيش قد توفي بمرسية خلال حصار الموحدين له حيث يقول المراكشي :"انهزم أصحاب محمد ابن سعد انهزاما قبيحا وقتل من أعيان الروم جملة ،ودخل محمد بن سعد مدينة مرسية مستعدا للحصار ،فضايقه الموحدون ومازالوا محاصرين له إلى أن مات وهو في الحصار حتف انفه ".[1]

ويلخص محمد عبد عنان أخبار ابن مردنيش وظروف وفاته فيقول :" والواقع أن ابن مردنيش بما توالى عليه في تلك الآونة العصيبة من الضربات الأليمة ومن انشقاق معظم قواعده وتشددهم في حصاره وإرهاقه ، قد بلغ ذروة اليأس والألم ...، وأن ابن مردنيش قد انتهى به اليأس إلى نوع من الذهول والخبل ، وما زادة من ذهوله ما عمد إليه أخوه أبو الحجاج يوسف من المبادرة إلى التوحيد ثم جاء الموت فأنقذه من المصير المروع الذي كان ينتظره ".[2]

[1]–عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تح: محمد سعيد العريان وآخرون ، ط1 ،مطبعة الاستقامة القاهرة ،ص 113

[2]– عنان، **المرجع السابق** ، ص 51

المبحث الثاني:ظروف قيام إمارة محمد بن سعد بن مردنيش

تضافرت عوامل متعددة في إضعاف المرابطين سواء في شمال إفريقيا أو في الأندلس والذي أدى إلى انحصار المرابطين وسقوط دولتهم، وذلك بسبب قيام حركة الموحدين، مما جعل الأندلس تعيش فراغا سياسيا ملأته بعض القوى المؤهلة لإنشاء إمارات ظرفية منها إمارة محمد بن سعد بن مردنيش في شرق الأندلس .

أ- الأندلس في نهاية المرابطين :

هناك عدة أسباب داخلية وخارجية كانت وراء ضعف المرابطين وسقوطهم ولعلى أبرزها نذكر : ضعف القيادة العليا للبلاد ،[1]وضعف الأمراء الذين تولوا الحكم بعد علي بن يوسف بن تاشفين[2]إضافة إلى ظهور النشاط الموحدي في بلاد المغرب ،حيث يذكر المراكشي قائلا :"فاختلت أحوال الجزيرة اختلالا مفرطا أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وطاعتهم للنساء ،فهانوا على أهل الجزيرة وقلوا في أعينهم واستولى النصارى على الكثير من الثغور ".[3]

---

[1] -حسن علي الحسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1،كلية دار العلوم ،جامعة القاهرة مصر ،1980،ص43.

[2] -علي بن يوسف بن تاشفين :يكني بأبي الحسن ابن تاشفين ،جاز إلى جزيرة الأندلس سنة خمسمائة ،بدأ الجهاد سنة ثلاث وخمسمائة ،غزا طليطلة وفتح طبرية كانت خلافته ستة وثلاثين سنة وسبعة أشهر ،توفي بمراكش سنة سبعة وثلاثين وخمسمائة ،انظر ابن الخطيب ،**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،ط1،تونس ،دت ن،ص89.

[3] - المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص247.

كما اختصرت أسباب تدهور حال المرابطين كذلك والثورة عليهم في غلظة يوسف ابن تاشفين[1] وجهله ولين علي بن يوسف ،وعجزه عن القيام بشؤون الدولة ،إضافة إلى تسليط أفقهاء على مقاليد الحكم مما تسبب في ضياع أمرهم وذهاب سلطانهم ،ولم يكن ذلك جديدا على الأندلس فقد تمتع الفقهاء بمركز ممتاز في عصري الإمارة والخلافة الأموية فكان أمراء وخلفاء بني أمية يستشيرونهم في أمور الدين والدنيا ،لكن أهل الأندلس كانوا ينفرون من هؤلاء الفقهاء ،بسبب تعصبهم للمذهب المالكي وتشددهم في تطبيقه لأنهم شعب متقلب لا يطيق الخضوع للحكام إلا مرغما ،لهذا كثرت شكواهم من الفقهاء وسخريتهم منهم ،وبعد انهيار الخلافة الأموية فقد الفقهاء مكانتهم الرفيعة ،وانصرف معظمهم إلى التدريس ،وفقدوا الخلفاء الذين كانوا تحت حمايتهم ،وانقلب الناس عليهم .[2] وبدخول المرابطين والأندلس استعاد الفقهاء نفوذهم وسلطانهم وعادوا إلى سابق عهدهم ،وازدادت ثرواتهم وتسلطهم ،ونظرا لتمسك المرابطين بالدين ورجاله ذوي العلم الكبير فوجدوا في هؤلاء الفقهاء بغيتهم وطريقهم المؤدي إلى مصالح فرفعوهم إلى أرقى المناصب، وأصبح القضاة في بعض النواحي حكاما للإقليم ،والفقيه المشاور حاكما مدنيا إلى جانب القائد المرابطي الذي كان حاكما عسكريا.[3]

[1] –يوسف بن تاشفين :هو ابن إبراهيم ابن تورقيت ابن منصور بن مصالة ابن أمية من ولد ابن عبد الشمس بن وائل بن حمير مولده في سنة أربعمائة وتوفي سنة خمسمائة ودفن بقصره بحاضرة مراكش ،انظر ابن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ، **المصدر السابق** ص19.

[2] – عصمت عبد اللطيف دندش،**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني** ،(510هـ-546هـ)،(1116م-1151م)،ط1188،1م،بيروت ،ص19.

[3] –نفسه ،ص26.

ومن الأسباب التي عجلت بسقوط المرابطين والتي استفاد منها الموحدون هو اضطراب الأمور في الأندلس خاصة بعد استدعاء الأمير تاشفين بن علي إلى المغرب ،وتبعه قوات كبيرة من المرابطين لمساعدته في مجابهة الموحدين ،وبالتالي زاد كلب النصارى ومواجهتهم لهم وتوالت هزائم المرابطين وانقطاع الإمدادات عنهم بسبب قيام حركة ابن تومرت في المغرب ،فهانوا على أهل الأندلس وقاموا عليهم، وبالتالي قد وجد الموحدون فرصة للظهور والتوسع داخل بلاد الأندلس.[1]

ومن أسباب الضعف الداخلية كذلك اشتغال المرابطين بأمور الحرب والجهاد وتغافلهم عن تعليم الناس وتثقيفهم في الدين ،إضافة إلى انصراف العلماء عن معرفة الواقع ومعايشة الأحوال العامة للناس وعدم مخالطتهم لهم ، وبذلك اهتموا وبالغوا في الفروع والشروح في قضايا الفقه، وابتعدوا عن الأصول،[2]فاخذوا يألفون المؤلفات ويعقدون المناظرات وينقبون في الكتب، مما نتج عنه جدار بين العلماء والعامة وعزلة خطيرة جدا للعلماء والمثقفين فقد ظهرت العديد من الأمور الخطيرة فقد كانت الخمور تباع وتشترى بل وتصنع في البلاد ،وضرائب باهظة تفرض على الناس غير الزكاة بغير وجه حق ، إضافة إلى انتشار الظلم من الولاة لإفراد الشعب كل هذا يحدث ولا يتكلم احد من العلماء والى جانب كل هذه الأسباب وما زاد الأمور تعقيدا حدوث أزمة اقتصادية داخل دولة المرابطين

[1] –مؤلف مجهول ،**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ،تح ،سهيل زكار ،وعبد القادر زمامه ،ط1،دار الرشاد الحديثة 1179،ص132.

[2] –طارق محمد سويدان ،**الأندلس التاريخ المصور** ،ط1،شركة الإبداع الفكري ،افريل2005،ص333.

وخربت المزارع ومات خلق عظيم من الناس ،بسبب فتك الجراد لحقول الأندلس سنة 526هـ حتى سنة 531هـ،إضافة إلى انتشار الأوبئة والجفاف والمجاعة سنة 526هـ.[1]

ومن أسباب الضعف أيضا ظهور أطماع كبار أمراء المرابطين الذين كانوا يتولون المناصب الهامة في أنحاء الدولة ،فاستبدوا بالأمر ولم يعودوا يرون في علي بن يوسف الكفاءة فصار كل واحد منهم يصرح بأنه أفضل من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه ،وهكذا انهارت القاعدة التي قامت عليها دولة المرابطين وهي البعث الديني والجهاد، وابتعدت المسافة بين فئتي الإدارة العليا ويمثلها أمير المسلمين وحوله الفقهاء ،والفئة الثانية ويمثلها الولاة وهم مستبدون أو ضعاف تتصرف النساء في شؤون الحكم وبالتالي فتح المجال أمام الموحدين الذين نجحوا في تأسيس دولتهم، وإضعاف قوة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس.[2]

ويمكن إضافة سبب يتمثل في التسامح الشديد والتهاون في معاقبة أو محاكمة مثيري الشغب والإخلال بأمن الدولة، فلم يعرف عن المرابطين أنهم أمروا بقتل مشاغب إلا في حالة نادرة ،وكان أقصى عقاب عندهم هو الاعتقال الطويل إضافة إلى فساد عدد من عمال المرابطين وتعديهم على من ليس له سببا في ضعف دولتهم وبالتالي فتح مجال للرشوة وتشجيع صغار الموظفين على الاقتداء بهؤلاء العمال .[3]

---

[1] –راغب السرجاني ،**قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط** ،ط1،مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع ،2011،ص529.

[2] –المراكشي ،**المصدر السابق** ،ص117.

[3] –عصام الدين عبد الرؤوف، **المرجع السابق** ،ص261.

ب- ثورات الأندلس على المرابطين في أواخر دولتهم :

قام أهل الأندلس بثورات على المرابطين في أواخر دواتهم وانتشرت هذه الثورات بسرعة في مختلف أنحاء الأندلس،وكان لها تأثير على حكم المرابطين ومن هذه الثورات نذكر :

- **ثورات غربي الأندلس :**

قامت هذه الثورة في الجنوب الغربي للأندلس،وتزعمها أبو القاسم احمد بن الحسن بن قصي[1]،شيخ الصوفية في الأندلس بغير منازع ،ومواهبه النادرة جذبة إليه الكثير من المريدين والطلاب والأتباع ،حيث انخدعوا في أرائه ومذهبه ومظهره ،فكانوا في الظاهر طائفة دينية، إما في الحقيقة أداة سياسية استخدمها ابن قصي في تحقيق مطامعه للوصول إلى الحكم .[2]

كما ادعى بن قصي الهداية وتسمى "بالإمام "واقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر محرضا على الفتنة في الباطن ،[3]حيث أنه كان يجتمع مع أصحابه من المريدين في جلسات سرية يدير معهم فيها أساليب الثورة على المرابطين، فاستجابوا له وقاموا بالثورة على المرابطين ،غير إن المرابطين استطاعوا التصدي لحركة ابن قصي والقبض على طائفة من أصحابه ،بينما تمكن ابن قصي من الفرار والاختفاء في حصن ميرتلة[4]و الاستيلاء على الحصن، وفعلا تمكن من الاستيلاء عليه ،واختفى في

---

[1] -أبو القاسم احمد بن الحسين بن قصي ،من أصل رومي من بادية شلب ،نشأ مشتعلا بالأعمال المخزنية ،ولد في مطلع القرن السادس هجري ،مال نحو الزهد وباع ماله ،وتصدق بثمنه ،انظر ابن الآبار،**الحلة السيراء** ،**المصدر السابق**،ج2،ص70.

[2] - دندش ،**المرجع السابق** ،ص70.

[3] -ابن الآبار،**الحلة السيراء** ، **المصدر السابق** ،ص197.

[4]-ميرتلة مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة بينهما أربعون ميلا ،وهي على وادي أنة ،وهو حصن أولي فيه أثار قديمة ،انظر الحميري ،**المصدر السابق** ،ص191.

قرية الجوزة عند قوم يعرفون بني السنة ،وأمرا اخلص قواده بالسير إلى ميرتلة والاستيلاء على الحصن ،وفعلا تمكن من الاستيلاء عليه ،[1]الذي اقتحمه حوالي سبعون رجلا من أتباعه بعد أن قتلوا بواب القلعة ،سحر ليلة الخميس الثاني عشر من صفر سنة 530هـ أغسطس1144م وأعلنوا بدعوة ابن قصي ،[2]وعى أثر ذلك كتب ابن قصي إلى أعيان غربي الأندلس يحثهم على الثورة فاستجابوا له وطردوا حاميات المرابطين ، لكن المرابطين حاولوا استرجاع الحصن لكنهم فشلوا في ذلك فأخذوا ينتقمون وذلك بالاعتداء على الناس وتخريب الأراضي هذا ما أدى إلى التفاف الناس حول ابن قصي فازدادت انتصاراته .[3]

كذلك استولى المريدون على حصن مرجيق[4]، وقتلوا المرابطين الموجودون بها ،فلما علم المرابطين ما حل بإخوانهم في حصن مرجيق،طلبوا الأمان من أهل باجة وذلك للخروج إلى اشبيلية باحثا عن الأمان .[5]

- **ثورات جنوبي الأندلس :**

ثار أهل الأندلس على المرابطين في معظم جنوبي الأندلس فشملت هذه الثورات عدة مدن "رندة "شريس"قايس"ومالقة "

---

[1] – هشام أبو رميلة،**المرجع السابق**،ص71.

[2] –ابن الآبار ،**الحلة السيراء** ،**المصدر السابق** ،ص198.

[3] – ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ،**المصدر السابق**،ص198.

[4] – مرجيق: بالضم ثم السكون ،وكسر الجيم ،وباء تحتها نقطتان ساكنة ،وقاف ،حصن من أعمال اكشونية بالأندلس ،انظر ،**نفسه** ص203

[5] –دندش ،**المرجع السابق** ،ص72.

فأما ثورة رندة،[1]فقد تزعم أخيل بن إدريس الرندي،[2]فاستبد بها وأعلن الثورة على المرابطين ،واستطاع أن ينشئ حكومة مستقلة لكن الخصوم والحساد من أهل رندة ثاروا على أخيل واستدعوا إليهم أبا العمر بن غزون قائد الثورة في شريس سرا ،فاستولى هذا الأخير على رندة وسجنه ثم أطلق سراحه ففر إلى مالقة واختفى بها .[3]

أما في مدينة قادس،[4]فقد ثار بها الأسطول المرابطي على بن عيسى بن ميمون ،خلع طاعة المرابطين اثر وفاة بن تاشفين بان علي واتبع دعوة الموحدين.[5]

وفي مدينة مالقة قامت الثورة ضد الحكم المرابطي بزعامة أبو الحكم الحسين بن حسون الكلبي[6]،الذي الكلبي[6]،الذي كان يتولى قضاء مالقة منذ سنة 538هـ-1444م ،حيث خلع طاعة المرابطين واستبد بمالقة،[7]ولم يكن ابن حسون في ثروته تابعا ولا داعيا لغيره إذ دعا لنفسه واستطاع أن يقهر المرابطين بعد أن حاربهم ستة أشهر ،وان يؤسس إمارة مستقلة لكن المرابطين ظلوا يهاجمونه ،هذا ما دفعه بان

[1] – رندة هي مدينة قديمة ،بها أثار كثيرة ،وهي على نهر ينسب إليها ،انظر الحموي ،**المصدر السابق** ،ص269.

[2] –أخيل بن إدريس الرندي ،كاتب وشاعر، كتب في بداية أمره للملثمين ،ثم استكتبه ابن حامدين في إمارته ،انظر ابن الآبار ،**الحلة السيراء** ، **المصدر السابق** ،ص242.

[3] –عبد الله علي علام ،**الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي** ،د ط ،الجزائر 2007،ص161.

[4] – قادس : بعد الألف دال مكسورة ،مهملة ثم سين كذلك جزيرة في غربي الأندلس تقارب أعمال شذونة ،قريبة من البر ،بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البر ،انظر الحموي ،**المصدر السابق** ،ص290.

[5] –أبو رميلة ،**المرجع السابق** ،ص73.

[6] –أبو الحكم الحسين بن حسون الكلبي :يكنى ابا الحكم ،وينحدر من لها عراقة في العلم والجاه والثراء ،تولى منصب فضاء مالقة سنة 539هـ،انظر عبد الله علي علام ،**المرجع السابق**،ص163.

[7] –مالقة: بفتح اللام والقاف ،كلمة عجمية مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية ،سورها على الشاطئ بين الجزيرة الخضراء والمرية انظر الحموي ،**المصدر السابق** ،ص43.

يلقي بنفسه في أحضان النصارى ،وبفعلته هذه فقد ثقة الشعب به، ووضع في مصاف أمراء المسلمين الخائنين ،الذين خيروا الدنيا على الدين .[1]

كما ثار أيضا أهل غرناطة على المرابطين وتزعم ثروتهم القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى،[2]وحاصروا المرابطين في قضية غرناطة ولم يستطع ابن أضحى التغلب على المرابطين وطلب النجدة من بعض الثوار في مدن أخرى ،ومنهم ابن حمدين زعيم ثورة قرطبة حيث بعث جيشا إلى ابن أضحى بقيادة ابن أخيه علي ابن القاسم كما استنجد أهل غرناطة بابن هود ،فسار إلى غرناطة وانضم إلى ابن أضحى في القتال مع المرابطين ،لكنهم هزموا وانتصر المرابطين وعادت غرناطة لحكم المرابطين.[3]

- **ثورات وسط الأندلس :**

تأثرت معظم قواعد الأندلس بثورات جنوبي غربي الأندلس فثاروا على المرابطين وخلعوا والي المرابطين أبا عمر اللمتوني ،وبايعوا القاضي ابن حمدين،[4] أمير عليهم لكن هذا الأخير لم ينجح في فرض سلطته الكاملة على قرطبة فخرج عليه بعض خصومه ،واستدعوا إليهم احمد بن عبد الملك بن هود ،لكن ابن هود لم يمكث طويلا فقد ثار عليه أهل قرطبة، وقاموا بقتل وزيره فلم يكن له خيار سوى

---

[1] -علام ،**المرجع السابق** ،ص163.

[2] -أبو الحسن علي بن عمر أضحى :ولد بالمرية في شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين وأربعمائة ،ونشأ فيها حتى صار من كبار الفقهاء والأدباء ،ولي منصب القضاء فيها ،ثم انتقل إلى غرناطة ،انظر ابن الآبار، **الحلة السيراء** ،**المصدر السابق** ،ص211.

[3] -أبو رميلة ،**المرجع السابق** ،ص76.

[4] -أحمد ابن حمدين الأمير القاضي بقرطبة : هو احمد بن محمد بن احمد التغلبي ،ينتمي إلى بيت عربي ،تولى القضاء بعد أخيه سنة 529هـ ،عزله علي بن يوسف ،انظر ابن الخطيب ،**أعمال الأعلام**، **المصدر السابق** ،ص 252

الفرار ،[1]ثم أعيد ابن حمدين إلى قرطبة ،وظل في الإمارة مدة سنة كاملة وفي هذه الفترة استطاع أن يقوم بكثير من الأعمال ،حيث فرض الاستقرار ودون الدواوين ونضم الجند ،كما خاطب ثوار الأندلس يطالبهم بالطاعة والولاء ،[2] لكن حساد ابن حمدين اتصلوا بالأمير يحي بن غانية [3] ،يسألونه القدوم لاستعادة قرطبة وإعادة العهد المرابطي ،فسار ابن غانية بقواته إلى قرطبة في جمادى الآخرة سنة 540هـ، وتمكن من هزيمة بن حمدين في معركة حامية جنوب غربي قرطبة ففر ابن حمدين إلى مدينة بطليموس،[4] وتسلل إلى حصن اندوجو ، وهنا استطاع أن يكون لنفسه قوة وبسط نفوذه وسلطانه على ما جاوره من البلاد غير أن جنود المرابطين اشتبكت معه وهزمته،فدفعه هذا إلى الارتماء في أحضان النصارى ،وغادر ابن حمدين قرطبة وسار إلى حصن فرنجلوس وأقام في مالقة حتى وفاته. [5]

- **ثورات شرقي الأندلس:**

قام أهل شرقي الأندلس بالثورة على المرابطين واستبد زعماؤها بالمدن والنواحي، وكانت هذه الثورات أشد عنفا وأطول زمنا ومن هذه الثورات نذكر:

[1] -أبو رميلة ،**المرجع السابق** ،ص75.

[2]-نفسه ،ص78.

[3] – يحي ابن غانية : هو رأس أسرة بن غانية ، من قبيلة مسوفة ،ولد في قرطبة وتلقى العلم فيها ، كان فارسا نجدا ،وجعله على بن تاشفين عاملا على استجه ،انظر ابن الآبار، **الحلة السيراء** ، **المصدر السابق** ،ص205.

[4]-بطليموس : مدينة في غرب الأندلس على ضفة وادي آنه ،وكانت في أيام ملوك الطوائف عاصمة لبني الأفطس انظر ابن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،**المصدر السابق** ،ص242.

[5]-علام ،**المرجع السابق** ،ص156.

ثورة أحمد بن محمد بن ملحان الطائي[1] ،الذي استبد في واد آش[2] ،فاستولى على القصبة من المرابطين وحصنها ودعا لنفسه ،ولم يكل أمره إلى غيره وتلقب "بالمتأيد لله " وكان حازما ومتشددا في تصريف الأمور ،كما تعرض كثير من الناس لبطشه وقتل عديد كثير من أهل واد أش ،كما استولى على العديد من الحصون والقواعد القريبة منه.[3]

كما ثار أهل بلنسية،[4]عاصمة الحكم المرابطي بالشرق على المرابطين فخشي الوالي المرابطي عواقب هذه الثورة فاجتمع مع قاضي بلنسية عبد الملك بن مروان محمد بن عبد العزيز،[5]واتفقا معا لإيقاف الثورة، فاخذ بن عبد العزيز يذكر الناس بمآثر المرابطين الذين أنقذوا الأندلس من السقوط في يد الصلبين ،كما ذكر الأندلسيين بفضل المرابطين في إعادة قيم الدين الحنيف.[6]

غير أن هذا التفاهم لم يستمر طويلا ولم يؤدي إلى إيقاف الثورة حيث اشتعلت من جديد وكانت أكثر عنفا واتساعا ،فشعر الوالي المرابطي بان نار الثورة تقترب منه ففر إلى مدينة شاطبة ،[7]واجمع

---

[1] –احمد بن محمد بن ملحان الطائي :كان معروف الكفاية مضطلعا بالعمل ،ثار بواد أش في أعقاب الدولة المرابطية ،وكان حازما وأغنىأهل زمانه ،ولم يوكل أمره إلى غيره ،انظر ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ،**المصدر السابق** ،ص264.

[2] – واد آش : بالفتح والشين المخففة ،أو ربما مدت همزته ،مدينة الآشاتب الأندلس من كورة إلبيرة ،وتعرف بواد أش ،انظر الحموي ،**المصدر السابق** ،ص198.

[3] –دندش ،**المرجع السابق** ،ص83.

[4] –بلنسية : مدينة في الأندلس في شرقي قرطبة وهي مدينة سهلية ،وقاعدة من قواعد الأندلس ،ملكها الروم سنة 487هـ واستردها الملثمون ،سنة 495،انظر الحميري ،**المصدر نفسه** ،ص47.

[5] –عبد الملك بن مروان محمد بن عبد العزيز:بويع له بعد خلع اللمتونين يوم الإثنين الثالث من شوال سنة 539هـ ،تملك شاطبة ،توفي بمراكش سنة 578هـ،انظر ابن الخطيب ،**أعمال الأعلام** ،**المصدر السابق** ،ص256.

[6] –علام ،**المرجع السابق** ،ص158.

[7] –شاطبة : بالطاء المهملة ،والباء الموحدة ،مدينة في شرقي الأندلس ،وشرقي قرطبة ،وهي مدينة كبيرة وقديمة ،وحصنها منيع انظر الحميري ،**المصدر السابق** ،ص309.

الثوار على اختيار القاضي ابن عبد العزيز ،رئيسا لثورتهم ولكنه عفا عن الرئاسة ،فالح عليه "عبد الله بن مردنيش"[1] "وعبد الله بن عياض" فقبلها مكرها وكان سنة 539هـ ،وتوالت غزوات المرابطين على بلنسية وأحوازها ،فحشد أبي عبد العزيز وجنوده وسار إلى شاطبة وهزم المرابطين وأجبرهم على الامتناع في قصبة شاطبة.[2]

كما اجتاحت الثورة مدينة "مرسية "،سنة 539هـ-1145،مطالبة بإسقاط المرابطين وتزعمها أبي محمد بن الحاج اللورقي،[3]وكان ضعيفا الشخصية ذلك انه لم يعلن استقلاله ،إنما خطب الابن حمدين ،أدرك ،أدرك ابن هود هذا فأرسل قائده الذي استطاع أن يطرد اللورقي، واستولى على مرسية ،وخطب لابن هود ولكن الثوار رفضوا ابن هود فقاموا عليه وطردوه وعينوا مكانه القاضي محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخشني فقبل الرئاسة مكرها.وكان شهما شجاعا فأسرع بتقديم العون إلى ثوار بلنسية خلال حصارهم للمرابطين في شاطبة ثم سار بقواته لمساعدة ثوار غرناطة على القتال المرابطين ،فقتل في المعركة وعادت قواته إلى مرسية.[4]

---

[1] -عبد الله بن مردنيش ،هو صهر القاضي أبو عياض ،وعم محمد بن سعد بن مردنيش ،بطل ثورة شرقي الأندلس ،انظر علام **المرجع السابق** ،ص166.

[2] - نفسه ،ص 158.

[3] -أبي محمد الحجاج اللورقي :أول من ثار بمرسية بعد انقراض الدولة اللمتونية ،قدمه أهل مرسية فدعا لابن حمدين ،انظر ابن الآبار ،**الحلة السيراء** ، **المصدر السابق** ،ص 277.

[4] -أبو رميلة **المرجع السابق** ،ص ص7374

المبحث الثالث:العوامل التي أدت إلى قيام الإمارة

ظهر ابن مردنيش في فترة انتقالية حرجة انهار فيها حكم المرابطين للأندلس إذ بدأت تزداد الغارات الإسبانية والاعتداءات على الأراضي الخاضعة لسلطان المرابطين وبدأ الموحدون يباشرون استعدادهم للدخول في المعركة الفاصلة ضد المرابطين. [1]

فانتفضت الأندلس كلها على المرابطين، وظهرت دويلات طوائف المرابطين التي بدأ الجند فيها يستولون على زمام الحكم فآل الحكم في شرق الأندلس إلى القائد المجاهد ابن عياض الذي خدم لديه ابن مردنيش زمنا، فلاحظ عزته وشجاعته فظن به الخير ونال ثقته وجعله كاتبا عنده ثم صهرا له أصبح نائبا له إلى أن أستشهد سنة 1147/542 بعد حكم دام سنتين،[2] فأجمع أجناده على تولية ابن مردنيش في بلنسية على الرغم من صغر سنه و قيل أن ابن عياض استخلفه على الناس قبل وفاته. [3]

اتخذ ابن مردنيش من مرسية عاصمة له فحظيت بعنايته واهتمامه وانغمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس وقد اهتم بجمع الصناع لآلات الحبوب وللبناء والترخيم واشتغل ببناء القصور

1هشام أبو رميلة، **المرجع السابق**، ص 115.

2 الزركشي، **تاريخ الدولة الموحدية والحفصية**، تح، محمد ماضور ،المكتبة العتيقة، تونس 1968، ص134.

3 مجهول، **تاريخ الأندلس**، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،2007، ص 87.

العجيبة و البساتين العظيمة وربط نفسه بتحالفات مع القواد المجاورين له من الثوار على المرابطين وصاهر بعضهم ليزيد من نفوذه و كان من أشهر هؤلاء القواد إبراهيم بن مفرج بن همشك.[1]

لكن سيرة محمد بن سعد بن مردنيش في الحكم خالفت ظنون سيده فكان بعيدا عن الإسلام في حياته اليومية إسباني اللباس والانتماء والولاء والسياسة فتنكر أكثر قواده لسلطانه، [2] وبان له انتقاض ولاءه فقتل وعذب الكثير منهم واستعان بالفرنج والنصارى وجعلهم أجنادا له وأخرج كثيرا من أهل مرسية من معارضيه وأسكن النصارى من أهل الولاء في دورهم فأمده كل من مللك قشتالة ومللك أراغون بجنود من الإسبان.

فهيأ ابن مردنيش لهم أجواءهم من الكنائس والحانات وأقطع لقوادهم منطقة شنتمرية وسمح بإقامة أسقفية خاصة بهم وأجزل لهم العطاء من الضرائب التي ابتدعها كضرائب الأعراس والاحتفالات والماشية وضرائب السلع التي بلغت مقدار أثمانها وضرائب الأرض التي ارتفعت مكوسها فوق مقدار مردودها فهجرها أهلها وصودرت لمصلحة بيت المال وكان على ذلك يدفع لألفونسو السابع صاحب برشلونة جزية بلغت خمسين ألف مثقال.[3]

وكان ابن مردنيش يحكم ألميريا بإسم ألفونسو السابع منذ إحتلالها 542هـ/1147م فازدادت شوكته وسعى إلى توسيع نطاق إمارته فولى ابن مردنيش أخاه أبا يوسف على بلنسية وضم إلى ملكه

1ليفي بروفيسال، **الإسلام في المغرب والأندلس**، تر السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1990، ص 93.

2ابن صاحب الصلاة، **مصدر سابق**، ص 111.

3- ابن الخطيب، **مرجع سابق**، ص 249.

شاطبة ودانية وطمع باشبيلية ونازل قرطبة وغدر بقرمونة وملكها وهزم ابن بكيت وقتله و كاد يستولي بفضل قائده إبراهيم بن همشك على جميع الأندلس فما كان من سلطان الموحدين عبد المؤمن مؤسس الدولة الموحدية إلا أن أرسل جيشا سنة 546هـ ابنه أبا سعيد مع أبي حفص عمر يحيا بعشرين ألفا من الفرسان إلى الأندلس لإعادة ما امتلكه ابن مردنيش وإعادة فتح ألمريا وبياسة وأبدة[1]

فدخل كثير أصحاب ابن مردنيش وكان ابن همشك منهم في طاعة الموحدين فاستعان ابن مردنيش بصاحب برشلونة لإعاقة تقدم الموحدين وفك حصارهم الأول لمدينة ألمريا التي لم تفتح إلا في الحصار الثاني في السنة التالية.[2]

إذ أخفق ابن مردنيش وحلفاؤه من الفربج أمام الأسوار التي ابتناها الموحدون أثناء حصارهم للمدينة كان لنتيجة ارتماء ابن مردنيش في أحضان الأسبان ثار عليه أهل شرق الأندلس وبخاصة أهل لورقة وبلنسية وأستطاع ابن مردنيش القضاء عليها مما أغضب هذا الأمر دولة الموحدين التي كانت لها علاقة بالثوار، ولهذا أرسل السلطان عبد المؤمن بن علي رسالة إلى ابن مردنيش حول هذا الأمر، وبعد ذلك أخذ ابن مردنيش يغزو بلاد الأندلس التابعة للموحدين بغية الاستلاء عليها.[3]

[1]- مراجع الغناي، **قيام الدولة الموحدية**، ط 2 ، منشورات قار يونس ، بنغزي ، ليبيا ،2008، ص87

[2]-ابن صاحب الصلاة، **المصدر السابق** ،ص112

[3]-المراكشي ، **المعجب** ، **المصدر السابق** ، ص 160.

المبحث الرابع :تأسيس إمارة محمد ابن سعد بن مردنيش في شرق الأندلس

نظرا لاضطراب الأوضاع في شرق الأندلس وقيام العديد من الثورات في الوسط والغرب والجنوب كان لابد من التعجيل بضبط الوضع واستقرار البلاد بعد وفاة ابن عياض، فقام بعده ابن مردنيش أميرا على شرقي الأندلس .

1- تأسيس الإمارة:

قامت في شرق الأندلس أقوى واخطر ثورة بزعامة محمد بن سعد بن مردنيش الذي بقي مسيطرا على البلاد حتى وفاته وسعى منذ تولية إمارته على مواجهة الموحدين من خلال قيامه بعدة غزوات وحروب معتمدا في ذلك على النصارى الذين استعان بهم في جهاده .

عمل عبد الرحمان بن عياض طوال حكمه لبلاد شرق الأندلس على حمايتها من غزوات النصارى واستمر في ذالك مدة عام وتسعة أشهر وعشرين[1] ، كما تعتبر فترة حكمه من أهم الفترات التي عرفت استقرارا للبلاد فقد استطاع التصدي لأي تدخل خارجي وحارب النصارى . إذ يقول المراكشي : "... كان النصارى يعدونه وحده بمائة فارس ...[2] "

وقام في الشرق يحفظ البلاد إلا أن توفي في اليوم الثاني والعشرون من شهر ربيع الأول سنة542هـ 1148م وبعد وفاته تولى حكم البلاد محمد ابن سعد بن مردنيش وهنا اختلفت الروايات حول مبايعته وتوليته السلطة من بعده فهناك من يقول أن أهل بلنسية بايعوا ابن مردنيش وبايع أهل مرسية عليا بن

[1] _ أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 81 .

[2] _ المراكشي، **المعجب، المصدر السابق**، ص 161.

عبيد ثم تخلى ابن عبيد عن مرسية لابن مردنيش في جمادى الأول 542هـ_1147م وبذلك ضمن ابن مردنيش شرق الأندلس كله[1] ويقول المراكشي إن ابن عياض قبل وفاته اسند أمور البلاد إلى محمد بن سعد بن مردنيش الذي خيره على ابنه فيذكر "... وقام بأمر تلك الجهات رجل اسمه محمد بن سعد بن مردنيش وكان خادما لابن عياض يحمل له السلاح ويتصرف بين يديه في حوائجه فلما حضرته الوفاة اجتمع الجند واعيان البلاد فقالوا إلى من تسند أمورنا وبمن تشير علينا وكان له ولد فأشاروا عليه فقال له أنه لا يصلح لأني سمعت أنه يشرب الخمر ويغفل عن الصلاة فإذا كان ولا بد فقدموا عليكم هذا وإشارة إلى محمد بن مردنيش فانه ظاهر النجدة كثير الغناء ولعل الله أن ينفع به المسلمين.[2]

[1]_ أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 84 .

[2]_ المراكشي ،**المعجب** ، **المصدر السابق** ص ص209210

المبحث الأول: علاقته مع النصارى

وبتولي ابن مردنيش الإمارة في شرق الأندلس يتغير الوضع في هذه المنطقة ويواجه الموحدون أقوى واخطر الثائرين في الأندلس، فعزم ابن مردنيش على الاستقلال بدولته وتأسيس إمارته والتصدي لأي اعتداء خارجي، وتمكن من السيطرة على الثورات والفتن داخل البلاد وللحفاظ على سلطته وإمارته عقد العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع بعض المدن وملوك النصارى إضافة إلى تمتين العلاقات والروابط بينهم . ومن بين هذه المعاهدات نذكر:

في سنة 543هـ 1148م عقد معاهدة صلح مع جمهورية بيزا مدتها عشر سنوات،[1] ثم عقد معاهدة أخرى مع جنوه،[2] فتعهد أن يدفع إتاوة قدرها عشرة ألاف دينار مرابطي خلال عامين وان يبني للرعايا الجنويين في بلنسية ودانية فندقا يزاولون فيه تجارتهم وكان ابن مردنيش يراسل ملوك النصارى ويبعث إليهم بالهدايا القيمة المتمثلة في الذهب والحرير والخيل التي بعثها إلى ملك انجلترا فبعث إليه هذا الملك هدية جليلة.[3]

---

[1] _ إبراهيم السامرائي وآخرون ، **المرجع السابق** ، ص 267

[2] _ جنوة : مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الروم وهي قديمة حسنة الجهات وافرة البشر كثيرة المزارع والقرى والعمارات وهي على قرب من نهر صغير ، أهلها تجار يسافرون برا وبحرا . انظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 173

[3] _ عنان ، **المرجع السابق** ، ص 373 .

في سنة عقد ملك قشتالة ألفونسو السابع[1] ،مع ملك أرغون معاهدة تطيلة[2] في رجب 545هـ 1151م واتفقا على تقسيم بلاد الأندلس بينهما ،حيث كان من نصيب ملك غزو شرقي الأندلس شرقي بشرط ان يتولى مدينتي بلنسية ومرسية بصفته تابعا لملك قشتالة.[3]

لما رأى ابن مردنيش خطورة وصعوبة رد الغزو النصراني سارع إلى عقد اتفاقين مع ملك النصارى الأولى مع ملك قشتالة مدتها أربع سنوات تعهد فيها ابن مردنيش أن يكون فصلا لملك قشتالة وان يدفع له خمسين ألف مثقال ذهبا سنويا أما الاتفاقية الثانية فعقدها مع الملك أرغون مدتها أيضا أربع سنوات وتعهد أن يدفع خمسين ألف مثقال ذهبا سنويا وبذالك يكون ابن مردنيش استطاع مهادنة النصارى والاحتماء بهم، ويذكر ابن الخطيب " ... واحتمى بالنصارى ومصانعتهم والاستعانة بطواغيتهم، فصالح صاحب برشلونة لأول مرة على ضريبة وصالح ملك قشتالة على أخرى فكان يبذل لهم في السنة خمسين ألف دينار ... " كما ابتنى لجيشه من النصارى منازلا وحانات كما يذكر ابن الخطيب " ... فابتنى لجيشه من النصارى منازلا معلومات وحانات للخمور وأجحف برعية الأرزاق من استعان به منهم ، فعظمت في

[1] _ ألفونسو السابع : يسميه المؤرخين المسلمين بالسلطين لأنه تولى العرش وهو صغير ، بعد وفاة أمه أراكة سنة 520هـ _ 1126 م . انظر عبد الواحد المراكشي ، **وثائق المرابطين والموحدين** ، تح حسين مؤنس ، ط1 مكتبة الثقافة الدينية ، 1997 ص 108 .

[2] _ تطيلة : بالضم ثم الكسر وباء ساكنة ولام ، مدينة في الأندلس في شرقي قرطبة تتصل بأعمال أسيقة ، انظر الحموي، مج1، **المصدر السابق** ، ص 33 .

[3] _ توفيق مزاري عبد الصمد ، **النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين** ، دط ، منشورات دار الثقافة حسن الحسني ، المدية ، 2010 ، ص 112 .

بلاده المفارم وثقلت ، واتخذ حوانيت بيع الادم والمرافق تختنق بجانبه ، وجعل على البقر والأغنام مؤنا غريبة ، أما رسوم الأعراس والملاهي فكانت فبالاتها غريبة ..."[1].

المبحث الثاني: صراع محمد بن سعد بن مردنيش مع الموحدين

استنكر أعيان وقضاة شرقي الأندلس ارتماء ابن مردنيش في أحضان النصارى والاتفاقيات التي عقدها معهم ففي عام 546هـ 1152م قامت ثورتان على ابن مردنيش الأولى في مدينة بلنسية فعين الثوار احدهم حاكما عليهم يدعى أبو مروان عبد الملك بن شليان وقامت الثورة الثانية في ليورقة[2] فقد تمكن ابن مردنيش من القضاء على هذه الثورات وقتل المشتركين فيها ومنه بداية اهتمام الموحدين بشرق الأندلس بأملاك ابن مردنيش وصراعهم له.[3]

أ- توسعات ابن مردنيش وغزواته :

أخذ ابن مردنيش يغزو بلاد الأندلس الخاضعة للموحدين وتمكن من ضم العديد من المدن تحت إمارته، ونظرا لقوته وعزمه استقطب العديد من المدن والأعيان وحتى النصارى الذين استعان بهم في حروبه.

---

[1] _ ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، **المصدر السابق** ، ج2 ص 124 ، وابن الخطيب ،**أعمال الأعلام المصدر السابق** ، ص 206 .

[2] – ليورقة : مدينة بالأندلس تقع جنوب مرسية يوجد بها فحص الفندودن وتحيط بها بعض القرى مثل تازة . انظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 171

[3] - مزاري عبد الصمد، **المرجع السابق**، ص 111

استطاع ابن مردنيش خلال فترة حكمه لشرق الأندلس من توسيع جغرافية دولته وذلك بضمه وسيطرته على الكثير من المدن والثغور، وامتدت دولته من شرقي الأندلس من مدينة بلنسية شمالا حتى المرية،[1] في الجنوب، فكانت حدود إمارته تتاخم مملكة أرغون في الشمال وحدود مملكة قشتالة في الجنوب الغربي، ومابقي من حدود يتاخم البلاد الأندلسية الخاضعة للموحدين ، قام ابن مردنيش بتعيين أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعيد[2] واليا على بلنسية وعين ابن همشك[3] واليا على مرسية. [4]

وهنا يذكر ابن الخطيب قائلا : " ... بعدما ملك ابن مردنيش بلنسية ارتفع له صيت شهير ثم دخلت مرسية في إمارته واستقام له الشرق وعظمت حالته ...".[5]

[1] - المرية : مدينة كبيرة من مشاهير مدن الأندلس ، تقع بين مدينتي مالقة ومرسية وهي عبارة عن مرتفعات وحصون على ساحل البحر الرومي كانت قاعدة الأسطول الإسلامي . انظر مريم قاسم طويل ، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان 1994 ، ص 11 . والمراكشي ، **المعجب** ، **المصدر السابق** ، ص 190

[2] – أبا الحجاج يوسف بن سعيد : بن محمد بن سعد بن مردنيش استقر في البلاد الشرقية بالأندلس مدة حياته حتى توفي سنة 582هـ ، انظر ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، **المصدر السابق** ، ص 272 .

[3] – إبراهيم بن احمد بن همشك أبو إسحاق: سمية بين همشك لان إحدى أذنيه مقطوعة ، تزوج ابنة ابن مردنيش واتصلت له الإمارة والرياسة، انظر خير الدين الزركلي ، **الأعلام** ، ج1 ، ط15، دار العلم للملايين ، ص 29 .

[4] – أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 107 .

[5] _ ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، **المصدر السابق** ، ص 121 .

ب-استيلاء ابن مردنيش على مدينة جيان ومحاصرته مرسية سنة 551 هـ _ 1160م

في سنة أربع وخمسين وخمسمائة خرج ابن مردنيش من مدينة مرسية وكان مع جملة من أصحابه النصارى حتى نزلوا مدينة جيان وكان واليا عليها محمد بن علي الكومي.[1]

فوصل مدينة قرطبة ونازلها ودمر أراضيها ومزارعها وشدد عليها الحصار ولم تقع بيده لصمود أهلها وتحصنهم بها بقيادة واليها أبي زيد عبد الرحمان بن تيجيت[2] الذي تمكن من صد هجمات ابن مردنيش المتتالية ، وهنا يذكر بن صاحب الصلاة قائلا : " ... فدافعه مدافعة الفرسان الأبطال أهل الوفاء بالبيعة لأمر العزيز في كل حال، وقاتله اشد القتال... "[3] ولم يكن بالسهل طرد ابن مردنيش من قرطبة إلا بإيجاد خطة محكمة رسمها بن تيجيت بمساعدة القاضي أخيل بن إدريس حيث كتبا كتابا لبن مردنيش وأرسلاه له عن طريق سيد رأي ابن وزير[4] ومكتوب فيه أن يعجل بالإقلاع عن قرطبة ويسير إلى اشبيلية فصدق ابن مردنيش الأمر فسار فوصل بجمعه ونزل على مقربة بموضع يسمى الفونت أو البونت وقاتل فيها مع جنوده حتى

---

[1] _ ابن صاحب الصلاة، **المصدر السابق** ، ص 68 .

[2] _ أبي زيد عبد الرحمان بن تيجيت: يذكره البعض بن بكيت أو يكيت، عينه عبد المؤمن بن علي واليا على قرطبة سنة 550هـ انظر، **نفسه**، ص 66 .

[3] _ **نفسه** ، ص 66 67 .

[4] _ سيد راي ابن وزير : يكنى ابا محمد من الرواة الذين اعتمدهم بن صاحب الصلاة مرارا في العصر الموحدي وكان يجيد اللسان المعجمي ، **نفسه** ، ص 67 .

وصل قرمونة ولما علم والي اشبيلية أبا يعقوب يوسف[1] بالأمر أحاط المدينة بأسوار وجنود واستعد لمقاومة الحصار.[2]

ولاقى أهل اشبيلية الكثير من المشاكل والضغوطات ولحق بهم الكرب والحرب ودام حصار ابن مردنيش لاشبيلية مدة ثلاثة أيام، لكنه لم يرى شيئا من ما جاءه في الكتاب فعلم أنها خدعة مدبرة مسبقا واقلع من اشبيلية خاسرا [3].

وبعد الهزيمة التي تلقاها ابن مردنيش في اشبيلية والحاقة بأرضها الفساد سير جيشا سنة 555هـ_1160م بقيادة صهره إبراهيم بن همشك للاستعلاء على قرطبة فدمر أراضيها ومزارعها ومارس القتل والتنكيل بأهلها ، فخرج والي قرطبة بقواته يستطلع الأمر ويدافع على أرضه وجنوده لكنه قتل بسبب كمين دبر له[4] إلا أن الموحدين الذين نجحوا من الكمين تحصنوا بداخلها وأحسنوا الدفاع عنها وسار ابن همشك بقواته إلى مدينة قرمونة فاستطاع بالتعاون مع احد زعماء المدينة يدعى عبد الرحمان بن شرا حيل من السيطرة عليها[5] إلا قصبتها التي تحصن

---

[1] _ أبو يعقوب يوسف : بن الخليفة عبد المؤمن بن علي ولد يوم الخميس الثالث من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة بويع بالخلافة بعد وفاة ابيه سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، توفي سنة ثمانين وخمسمائة . انظر ابي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، تص وتر ،كارول يوحن كرونبرغ ، دط ، دار الطباعة المدرسية ، 1823 . أوبسانة ، ص 208 .

[2] _ أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 112 .

[3] _ بن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، 68 .

[4] _ ابن عذاري المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين** ، تح: إبراهيم الكتاني ، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986، ص 43 .

[5] _ ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، **المصدر السابق** ، ص 261 . وإبراهيم السامرائي ، **المرجع السابق** ، ص 20

الموحدون فحاصرهم حتى استنزلهم على حكمه ،كما ذكر صاحب الأعمال وحاول الاستعلاء على مدينة اشبيلية وشدد عليها الحصار ولحق بها أفدح الخسائر مما جعل السيد أبا يعقوب يوسف يستنجد بوالده عبد المؤمن بن على[1] .

بعث والي اشبيلية أبو يعقوب يوسف يستنجد بوالده عبد المؤمن ويخبره بالفتنة التي ألحقها ابن همشك وإخوانه النصارى بأهل اشبيلية،[2]بعث الخليفة عبد المؤمن رسالة جوابا على كتاب ابنه يعلمه فيها بانتصاره على أعراب بني سليم في إفريقيا واعترافهم بطاعتهم له ، كما جاء فيها نية عبور الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس للقضاء على زعماء الفتنة ، وأمر أبناءه وولاته بباء مدينة حصينة وقاعدة حربية في جبل طارق[3]، لصد هجمات العدو ، وبعد الانتهاء منها عبر الخليفة عبد المؤمن البحر ونزل بجبل طارق وأقام فيه مدة شهرين ، بعدها عاد إلى مراكش سنة 556هـ_1161م .[4]

[1] _ بن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 92 .

[2] _ بن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 127 .

[3] _ جبل طارق : موضع في بلاد الأندلس ينسب اسمه إلى طارق بن زياد ومنه خرج وفتح الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء، انظر الحموي، **المصدر السابق** ، 102 .

[4] _ أبو رميلة، **المرجع السابق** ، ص 164

أوصى الخليفة عبد المؤمن ولديه وقواده بمواصلة غزو ابن مردنيش وقتاله فعين ابنه أبو يعقوب يوسف واليا على اشبيلية وعين ابنه أبا سعيد عثمان واليا على غرناطة[1]، ثم عين على قرطبة أبا حفص عمر اينتي، وترك في الأندلس جيشا كبيرا يتألف من الموحدين والأندلسيين فجعل على قيادة الموحدين ابن الشرقي وجعل على الأندلسيين احد قوادهم يعرف بابن صناديد وانتهز السيد أبو يعقوب يوسف فرصة عودة ابن همشك إلى جيان فأرسل جيشا لاستزاد قرمونة وكان ابن همشك قد ترك عليها واليا يدعى ابن أبي جعفر وكان يخرج ويشتبك مع الموحدين.[2]

سار أبو محمد عبد الله ابن أبي حفص بن علي بقواده لاستزاد قرمونة ونزل بقلعة جابر بعد أميال من المدينة واخذ في غزوها يوميا ثم تقدم بقواته فنزل بحصن ابن سلام واحكم الحصار على قرمونية فاقتحم الموحدون المدينة واستولوا عليها.[3]

ج- غزو غرناطة واسترجاع الموحدين لها :

بعد محاولة ابن همشك تدمير كل من قرطبة وقرمونة واشبيلية وأكثر الفساد فيهم، قرر السير إلى غرناطة والغدر بأهلها فاجتمع مع اليهود واتفق معهم على أن يغزو غرناطة ليلا

---

[1] _ غرناطة : مدينة بالأندلس من أقدم مدن البيرا بينهما ستة أميال تعرف بمدينة اليهود ، وهي دار علم وعلماء . انظر أبو محمد الرشا طي ولبن الخراط الاشبيلي ، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار الأنوار** ، تح: ايميليو خاشينتو بوسك بيلا، دط ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990 ، ص 174 .

[2] _ بن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 172.

[3] _ **نفسه**، ص 127 .

وكانت المدينة آنذاك محصنة بالرجال والأبطال فوصل ابن همشك مع اليهود في تلك الليلة التي توعدها معهم فكسروا قفل المدينة وتمكنوا من دخولها والحقوا بأهلها القتل والفساد وحاصروها بعدها راسل ابن همشك ابن مردنيش يعلمه بالخبر وكانا قد اتفقا معا وأطمعه ابن مردنيش انه إذا وصل بمعسكره ينزل طوعا من في القصبة من الموحدين فاحتشد ابن مردنيش مع أعوانه واستدعى النصارى ووصلوا إليه طامعا في ما ضمنه له ابن همشك ولما شاع خبر قتال وتخريب ابن همشك لأهل المدينة وبلغ الخبر الخليفة عبد المؤمن وهو في بلاد المغرب فتحرك مسرعا قاصدا الأندلس فساءه الخبر وتأثر له ،[1] وسار الموحدون لمهاجمة ابن همشك واستنجدوا بالخليفة عبد المؤمن فاستجاب للموحدين المحصورين بقصبة غرناطة ، فسار أولا إلى مالقة ثم استدعى جيوش اشبيلية بقيادة عبد الله بن أبي حفص،[2] وكان اللقاء بظاهر غرناطة بالموضع المعروف بمرج الرقاد،[3] أسرع ابن مردنيش بقوات كبيرة من جيان ومرسية للقاء الموحدين فنشبت الحرب بين الطرفين فألحقت الهزيمة بالموحدين وقتل خلق كبير منهم، ويذكر ابن الخطيب كيفية استيلاء ابن همشك على غرناطة ثم موقعة مرج الرقاد،[4] فيقول " ... في جماد ى الأولى من عام 557هـ وجه ابن مردنيش صهره أبا الحسن ابن همشك إلى محاصرة غرناطة فدخلها ليلا فامتنع

---

[1] _ابن عذاري المراكشي ، **المصدر السابق** ، ص 73 .

[2] _ أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 118.

[3] _مرج الرقاد : موضع بالأندلس يقع على مقربة من غرناطة على سفح جبل البيرا ، انظر ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، **المصدر السابق** ، ص 127

[4] _ موقعة مرج الرقاد : معركة نشبت بين الموحدين وقوات ابن همشك على اثر استيلائه غرناطة في جمادى الأول سنة 556 هـ في موضع يسمى مرج الرقاد، وانهزم فيها الموحدون . انظر ابن الخطيب ، **نفسه** ، ص 127

الموحدون بقصبتها فعرض عليه ضروب الحرب ، وتحرك إليها السيد أبو سعيد بن الخليفة بجيش من الموحدين ومعه والي اشبيلية أبو محمد بن أبي حفص ، فكان ألقاء بظاهر غرناطة بالموضع المعروف بمرج الرقاد ، فانهزم الموحدون أقبح هزيمة وتمادى بمن في قصبة غرناطة ...". [1]

ولما وصل هذا الخبر المفجع إلى أمير المؤمنين عبد المؤمن وهو برباط الفتح ، بعث جيشا كبيرا من عساكر الموحدين وقرروا غزو قوات ابن همشك وكان عدد جيش الموحدين عشرين ألفا ، وعاهدوا الله على نصرة دينه ونصرة الموحدين المحصورين بقصبة غرناطة ، وأمر عليهم أمير المؤمنين ابنه أبا يعقوب يوسف واصحبه الشيخ يعقوب يوسف بن سليمان زعيم الموحدين ، فتحركوا من رباط الفتح مسارعين بالسير إلى أن وصلوا بحر الزقاق فأجازوا منه إلى الجزيرة الخضراء[2]، ونزلوا فيها ، بصحبة أبا يعقوب يوسف بن سليمان ثم عبروا على شاطئ البحر في الطريق السالك إلى مالقة واجتمعوا فيها مع السيد أبي سعيد.[3]

وتحرك السيدان أبو يعقوب وأبو سعيد من مدينة مالقة إلى غرناطة ووصل مردنيش بجملة من المسلمين والنصارى ، فنزل في الجبل المتصل بقصبة غرناطة وابن همشك بالحمراء ومعه نحو

[1] _ ابن الخطيب، **أعلام الأعمال، المصدر السابق**، ص 261

[2] _ الجزيرة الخضراء: موضع في الأندلس في الشمال الشرقي من جزيرة طريف غربي جبل طارق . انظر بن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 130.

[3] _ ابن الخطيب، **أعلام الأعمال، المصدر السابق**، ص ص 130 131 .

ثمانية ألاف فارس من النصارى وكان الموحدون يسيرون في طريقهم حتى وصلوا ألواد المسمى بواد شنيل المتصل بالقصبة الحمراء. [1]

ولما كان يوم الخميس الخامس والعشرين من رجب 557هـ تحرك جميع عساكر الموحدين وركب السيدان أبو يعقوب وأبو سعيد وعزموا أن يسيروا إلى محلة النصارى ،[2] فلما برق ضوء الصباح من يوم الجمعة الثامن والعشرين 557هـ وصل الموحدون إلى مكان النصارى ، فبدؤوهم في مضاجعهم بالكفاح فأمعنوا القتل فيهم ، وحاول الكثير منهم الفرار وركبوا خيولهم لكنهم لم يلحقوا بذلك لأن الموحدين كانوا اشد قوة وعزما ، وانقضى الموحدون على قوات ابن همشك قبل أن يركبوا خيولهم فانتصر الموحدون وسقط الكثير من أعدائهم قتلى، وولى البعض منهم أدبارهم بعد الانهزام ونصر الله الموحدين وهزم أعدائهم،[3] واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحي غرناطة، واستولى الموحدون عليها وعاد عبد المؤمن من سلا إلى مراكش. [4]

وكان ابن مردنيش بالجبل المتصل بغرناطة يرى قتل إخوته متحسرا، ودخل الموحدون مدينة غرناطة وسط النهار على أتم النصر وخرج الموحدون المحصورون بقصبة غرناطة واقلع ابن

---

[1] _المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، **المصدر السابق** ، ص 76

[2] _ **نفسه** ، ص 76.

[3] _ بن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص ص 133 134

[4] _ أبي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير، ت 630 هـ ، **الكامل في التاريخ** ، مح محمد يوسف الدقان ، مج 9 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 ص 556 .

مردنيش منهزما من موضع محلته فاقتفى الموحدون أثره و قتلوا من أدركوه من قواته، ولما أكمل الله هذا النصر العظيم للموحدين تحرك العسكر لحصار ابن همشك بمدينة جيان،[1] فانتهزوا الفرصة لاستزاد بقية البلاد التي استولى عليها ابن همشك وبدؤوا باستيراد جيان ثم سار الموحدون إلى قرطبة لتعميرها من جراء تخريب ابن همشك لها.[2]

وسار أبي يوسف يعقوب صوب غرناطة لاسترجاعها وفي الوقت نفسه سار ابن مردنيش بعد أن وصلته أنباء وصول جيش الموحدين إلى غرناطة لنصرة حليفه ابن همشك بعدها هاجم الموحدون غرناطة في رجب 557هـ وانهزم ابن همشك وقتل الكثير من قواته ، أما ابن مردنيش فلم يستطيع مساعدة حليفه الذي لقيت به وبقواته هزائم عديدة . بعدها عزم الموحدون على غزو ابن مردنيش والقضاء عليه وساروا إلى بلاده في سنة 560هـ فاتحين الحصون والقلاع فوصلوا إلى مشارف مدينة ليورقة فخشي ابن مردنيش من سقوط المدينة في يد الموحدين.[3]

وفي تلك الأثناء كان ابن مردنيش قد حشد قواته بجمع كبير من النصارى وخرج من مرسية يعترض قوات الموحدين عند ليورقه فلما رأى صعوبة اختراق الطريق الجبلي الوعر تحولوا إلى جهة ليورقة وانحدروا إلى السهل المسمى بالفندودن،[4] ثم اخترقوا السهل نحو مرسية ،[5]كان

---

[1] _ المراكشي ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،**المصدر السابق** ، ص 76 .

[2] _ أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 114 .

[3] _ إبراهيم السامرائي ، **المرجع السابق** ، ص 269 .

[4] _ الفندودن : موضع بالأندلس يقع شرق مدينة لورقة جنوب قرطاجة . انظر الإدريسي ، **المصدر السابق** ، ص194

[5] _ البيدق ، المصدر السابق ، ص 126 .

ابن مردنيش في تلك الإثناء قد ارتدى بجنده نحو مرسية من الطريق الجبلي ، ولما كان يوم الجمعة السابع من ذي الحجة سنة 560هـ_1164م اشرف الموحدون عند الظهر على فحص مرسية على بضعة أميال منها وسعى الموحدون للقضاء على الفتن التي أحدثها ابن مردنيش كما حاول يوسف بن عبد المؤمن إزالة خطر ابن مردنيش وأصحابه النصارى.[1]

نزل الموحدون بموضع في مرسية بفحص الجلاب وهناك اشرف ابن مردنيش بقواته يقاتلهم ، ونظم الموحدون جيشهم وكان يتكون من أهل هرغة[2] ،وهنتاتة، [3]وتنيملل وباقي القبائل الموحدية ، وكان جيش الموحدين يظم زهاء اثنتي عشرة ألف مقاتل غير حامية غرناطة نحو أربعة ألاف والتي كانت تحت إمرة الشيخين أبي سعيد وأبي عبد الله، وثمانية آلاف من الجملة التي عبر بها السيد أبي حفص أما جيش ابن مردنيش فقد كانت تقدر بثلاثة عشرة آلاف من النصارى المرتزقة.[4]

ونشب بين الطرفين معركة هائلة قاتل فيها الموحدون والعرب اشد قتال واستمرت حتى مغيب الشمس وكان النصر حليف الموحدين في النهاية ، ففتكوا بجيش ابن مردنيش وقتلوا

[1]_ عبد الواحد المراكشي ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، **المصدر السابق** ،ص 116

[2]_ هرغة: مدينة بالمغرب تقع شرق مدينة تارودانت بين السوس الأقصى والأدنى، انظر بن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 199 .

[3]_ هنتاتة: مدينة بالمغرب تقع جنوب مراكش بين حصن ليك ومدينة تنيملل، انظر البيدق، **المصدر السابق**، ص 98.

[4]_ بن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 199 .

الكثير من قواته، وارتد مع بعض أعوانه إلى تل قريب إلى أن دخل الليل ففر مسرعا الى مرسية وامتنع بداخلها.

وفي صباح اليوم التالي الثامن من شهر ذي الحجة سار الموحدون إلى مرسية ونزلوا بساحتها وخربت ودمرت سرياهم أحوازها منها بساتين ابن مردنيش وغنموا الكثير من الخيرات والغنائم والأقوات[1] بعدها بعث السيدان أبو حفص وأبو سعيد إلى أخيهما الخليفة أبي يعقوب بمراكش بكتاب الفتح والبشرى من إنشاء الكاتب أبي الحسن ابن عياش فوصل إلى الحضرة في الثالث والعشرين من ذي الحجة وقرأ على سائر الحاضرين من الأشياخ والطلبة ،كما قرأ ذلك بالمسجد الجامع على كافة الناس.[2]

وكانت هزيمة فحص الجلاب من اقسي الضربات التي أصابت ابن مردنيش وبداية انحلال ثورته وانهيار سلطانه في شرق الأندلس ، فانسحب إلى مرسية ولحقه الموحدون وشددوا الحصار عليه وفي سنة 562هـ قام والي غرناطة الموحدي السيطرة على بعض حصون ابن مردنيش مثل حصن لبسه قرب وادي آش وحصن بسطة ، والحق هزائم متعددة بقوات ابن مردنيش وحلفائه الإسبان .[3]

---

[1]_ عنان ، **المرجع السابق** ، ص 17.

[2]_ **نفسه** ، ص ص 17 18

[3]_ أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 126 .

ونظرا لاعتماد ابن مردنيش الكبير على الأسبان والاستعانة بهم في غزواته فقد أرهق الرعية بالضرائب لسد أطماع ورغبات الإسبان مما أدى إلى تذمر الرعية وخلقت له عداوة كبيرة مع كبار قواده، إضافة إلى سوء العلاقة بينه وبين صهره ابن همشك ودارت بينهما العديد من النزاعات كانت نتيجتها انضمام ابن همشك إلى الموحدين واستنجد بهم في منازعاته ضد ابن مردنيش وأعانوه على حربه معه.[1]

وسار ابن همشك مع الموحدين لقتال ابن مردنيش في عام 566هـ حتى وصل إلى بلاده في ومرسية وحاصر الموحدون المدينة والحقوا بابن مردنيش الهزائم ، وكان الخليفة أبو يعقوب قد عبر إلى الأندلس في عام 566هـ ونزل اشبيلية وذهب إليه أخوه السيد أبو حفص وجلب معه الأعيان والولاة[2] الذين أعلنوا الولاء للموحدين ، وانتهز ابن مردنيش هذا الأمر فهاجم جزيرة شقرة[3] لمحاولة منه استرجاعها لكنه فشل في ذلك لقوة الموحدين وأسرارهم على إلحاق الهزيمة

[1] _ بن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص ص 406 407 .

[2] _ ابن عذاري ، **البيان** ،**المصدر السابق** ، ص 83 .

[3] _ شقرة : جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة بينها وبين بلنسية ثمانية عشرة ميلا بها جامع ومساجد وأسواق وقد أحاط به الوادي وهي حسنة البقعة عامرة بالناس والمباني،انظر الحميري، **المصدر السابق**، ص 103 .

بابن مردنيش فرجع إلى مرسية يعاني من المرض الذي مات منه عام 567هـ _ 1171 وتولى الأمر من بعده أبو القمر هلال،[1] الذي دخل في طاعة الموحدين.[2]

وبذلك يكون الموحدون قد أنهوا صراعهم مع ابن مردنيش وتمكنوا من القضاء عليه وعلى أصحابه النصارى الذين ساندوه في حروبه معهم وتمكن الموحدون من السيطرة على حصونه واسترجاع معظم المدن التي كانت تحت إمارته ولم يكن لابن مردنيش خيارا بعدما تخلى عنه أهله وأعوانه واحتموا بالموحدين فلجا هو كذلك إلى الدخول في طاعتهم والخضوع لهم .

المبحث الثالث: نهاية المملكة المردنشية

أ– عوامل ضعف دولته: اضطربت شئون محمد بن سعد بن مردنيش، وأخذت تخبو قواه وموارده ولاسيما منذ وقعة الجلاب الساحقة كما ساءت علاقة ابن مردنيش بكبار رجال دولته وأعوانه حيث اضطهدهم وعذبهم فثار بعضهم عليه،كان ذلك من أهم العوامل في انحلال سلطانه الشامخ الذي استمر منذ قيامه في شرق الأندلس في سنة 532هـ نحو عشرين عاما يتحدى سلطان الموحدين عاملان هما:

[1] _ أبو القمر هلال: ابن محمد بن سعد بن مردنيش أعلن الطاعة للموحدين بعد وفاة أبيه وسار إلى اشبيلية يعلن ذلك بنفسه للخليفة الموحدي وتوثقت فيما بعد أواصر الأخوة بين الموحدين وآل مردنيش ولاسيما حين تزوج الخليفة ابنة ابن مردنيش أنظر بن صاحب الصلاة، **المصدر نفسه**، ص 261 .

[2] _ ابن عذاري، **المصدر السابق** ، ص 83 . إبراهيم السامرائي ، **المرجع السابق** ، ص 270 271 .

العامل الأول: مصادقة ابن مردنيش للنصارى

يبدو أن توسع ابن مردنيش في اعتماده على الجند النصارى، والاهتمام بهم قد آثار عليه بعض القواد فقد اعتمد محمد بن مردنيش في حروبه جموع عظيمة كان أكثرها من الإفرنج حيث اتخذهم أجناد له وأنصارا وذلك حين أحس باختلاف وجوه القواد عليه وتنكر أكثر الرعية له فقتل من أولئك الذين اتهمهم جماعة بأنواع القتل.

بلغني أن منهم من بني عليه في حائط وتركه حتى مات جوعا وعطشا إلى غير هذا من ضروب القتل وكما استدعى النصارى كما ذكرنا فجعلهم أجناد له وأقطعهم ما كان أولئك القواد يملكونه من أهل مرسية وأسكن النصارى دورهم .[1]

ولكي يسد ابن مردنيش نفقات النصارى الذين استعان بهم في تدبير شؤونه فرض على الناس المغارم والضرائب، واستكثر من القبلات ، ورسم بدائع من المكوس، وقرر في المواشي عددا يلزم المئتين ، وكما فرض على الأدم والبقول والحبوب معاون ثقيلة تقارب أصول الأثمان.[2]

ففي هذا يقول ابن الخطيب: "وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات، وحانات للخمور، وأجحف برعيته للأرزاق من استعان بهم، فعظمت في بلاده المغارم وثقلت واتخذ

[1]- المراكشي ، **المعجب** ، **المصدر السابق** ، ص 322

[2]- ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، **المصدر السابق** ، ص261

حوانيت بيع الأدم ،والمرافق تختلف بجانبه ، وجعل على الأغنام وعروض البقر مؤنا غريبة ، وأما رسوم الأعراس والملاهي ، فكانت قبالتها غريبة ".[1]

العامل الثاني :انشقاق أنصاره عنه

ساءت علاقة ابن مردنيش بأقرب الناس إليه وعدد من وزرائه ، فأدى ذلك إلى تضعضع وضعف قواه فقد خرج عليه يوسف بن هلال ، وكان هلال شجاعا وحازما، أحضاه الأمير محمد وصاهره، وجعل لنضره حصن مطريشة وأخذ حصن الصخيرة،[2] ومواضع كثيرة ، ثم فسد ما بينهما فثار عليه ابن هلال وتملك مورتلة وتحالف مع أمير برشلونة على أن يكون تحت حمايته وتصير ما يملكه إليه وأعانه بخيل من النصارى ، فأخذ يغير على أحواز بلنسية، وينزع بعض حصونها، وأوقع الهزيمة بابن مردنيش، لكن ابن مردنيش عاود قتال صهره، وساعده الجد في جريدة خيل وجهها ببعض الأطراف للضرب على مورتلة، وقبض على ابن هلال متوجها إلى شنطبيطور، وسيق إلى ابن مردنيش فأسرع به إلى مورتلة، وطالبه بإخلائها وإلا أخرجت عينه ولكن ابن هلال أبى ذلك فأمر ابن مردنيش وأخرجت عينه اليمنى بعود من الأرض ،كما طلب

[1]- ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، **المصدر السابق** ، ص 124

[2]- الصخيرة :حصن صغير على نهر مرسية من الأندلس ،وفيه دعا لنفسه محمد بن هود ،محمد عبد المنعم الحميري **الروض المعطار في خبر الأقطار** ،تح: د إحسان عباس ، ط1 ،مكتبة لبنان ، بيروت ،1975 ،ص 355

منه إخلاء الحصن أو تخرج عينه الأخرى، لكنه حمل على التكذيب فأحرجت في الحين عينه الأخرى ، وسيق إلى شاطبة وبقي فيها إلى أن توفي سنة 643هـ .[1]

كما ساءت علاقة ابن مردنيش بصهره ابن همشك ، وأصبحت تلفها الشحناء والعداوة والبغضاء سرا وعلانية فانقطاع ابن همشك عن زيارة صهره ومواصلته وذلك مخافة على نفسه لما رآه من تصرفات ابن مردنيش الذي قتل بعض كبار أعوانه وعذب بعضهم الآخر ومن ذلك قتله لابني الجذع ووزيريه ، وأيضا قتله لابن صاحب الصلاة الغرناطي بالجوع.آثار ذلك غضب ابن مردنيش وطلق زوجته التي هي ابنة همشك طلاقا بتلا، وبانت عن عصمته بيانا، وقام بطردها إلي بيت أبيها مهانة ومستهانة باكية بدموعها إصراره وهجرانه،[2] وكانت صبيحة قد أنجبت ولدا للابن مردنيش، فلما طلقت وسارت إلى أبيها فسألت عن ولدها وإمكان صبرها عليه فقالت :"جرو كلب، جرو سوء ،من كلب سوء لحاجة لي به "، وأرسلت كلماتها في نساء الأندلس، وهكذا اشتدت بين ابن مردنيش وصهره ابن همشك الخصومة والفتنة، وعظمت المحنة ، ونشبت الحروب بينهما، وهلك فيها الكثير من الرعايا .[3]

لم يستطع ابن همشك الصمود في وجه ابن مردنيش وغزواته المتواصلة ، وأعلن الولاء والطاعة للموحدين ،فقام ابن همشك بإرسال رسالة إلى الشيخ المرحوم أبي حفص يعلن فيها

---

[1]- ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، **المصدر السابق** ، ص ص 260 261

[2]- ابن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 303

[3]- ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، **المصدر السابق** ، ص 302

توبته وتوحيده، ورغب أن يصدق متابه بظهور النصح منه وذلك بتمكين الموحدين من بلاده بأوفى ود وطاعة ومحبة، وكرر خطابه وذلك بالوصول بنفسه والانتباذ من طاعة ابن مردنيش وموالات الكفار، ووصل إلى قرطبة وإلى الشيخ المرحوم في شهر رمضان المعظم من عام أربعة وستين وخمسمائة، وقد استقبله الشيخ المرحوم أحسن استقبال ورحب به، وأقر أن الله تعالى هداه إلى المذهب الرشيد وصحبة أهل التوحيد ،وكتب إلى الخليفة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الخليفة رضي الله عنهم عن نفسه معلنا متابته وأنه دخل في الطاعة .[1]

ففي هذا يقول ابن الخطيب :"ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده ، وتغلب على كثير منها ، خدم ابن همشك الموحدين ولاذ بهم ، واستجارهم، فأجاز البحر ، فقدم على الخليفة عام خمسة وستين وخمسمائة ، وأقره بمواضعة إلى أوائل عام أحد وسبعين ، فطلب بالانصراف إلى العدوة بأهله وولده، وأسكن مكناسة وأقطع بها سآما، لها خطر ، واتصلت تحت عنايته إلى أن هلك ".[2]

[1]- ابن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 304

[2]- ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، **المصدر نفسه** ، ص 302

وهكذا اتصلت بلاد ابن همشك التي يحكمها ببلاد الموحدين وأمنت الفتنة والطرق والرفاق ،وارتفع في تلك النواحي الفرق والنفاق ،وقام السيد أبو إسحاق إبراهيم[1] بن الخليفة بإرسال رسالة إلى قرطبة وإلى الولاة الموحدين بالأندلس يخبرهم فيها بتوحيد ابن همشك .[2]

وكان انضمام ابن همشك إلى الموحدين، ضربة أصابت ابن مردنيش في الصميم وتحقق أن ساعده قد كسر مع عضده فحملته الأنفة والعجلة وأمر قواده وأجناده بغزو بلاد ابن همشك وأخذ يرهقه بغراته المتواصلة ويؤلب عليه قواده وجنوده ، ودامت الفتنة بينهما مدة سنة كاملة وزادت بينهم الشحناء والبغضاء إلى يوم القيامة ،[3] ولكي يضيق أكثر ابن مردنيش على ابن همشك قام بإعطاء النصارى حصنين هما حصن يلج والكرس وذلك كي يواصلوا غزوا بلاده وقتاله.[4]

[1]–ولى قرطبة لأخيه أمير المؤمنين يوسف سنة 563هـ، وفي سنة 567هـ كان على رأس قبيلة جدميوه في حملة وبذة ، ثم ولي عمل إشبيلية في سنة 576هـ ، وفي سنة 578هـ قام باستعادة مدينة شنتفلية من أيدي النصارى ، وسخط على ابن أخيه يعقوب المنصور حينما بويع له بالخلافة ، قتل سنة 583هـ ، أنظر ابن القطان ،**المصدر السابق** ،ص 533

[2]– أبو رميلة، **المرجع السابق** ، ص 129

[3]–بن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 308

[4]– أبو رميلة ، **المرجع السابق** ص 130

لكن ابن همشك لم يستطيع الوقوف في فيوجه ابن مردنيش وحلفائه النصارى ،فبعث وزيره أبو جعفر الوقسي، وافدا عنه إلي مراكش ومستصرخا بالموحدين لإنجاده ، لكن الموحدين تأخروا في نجدته، حيث كانت لديهم خطة أخرى لقتال ابن مردنيش وذلك في عقر بلاده.[1]

لكن بعد أن تأكد الموحدين من صدق استغاثة ابن همشك سار السيد أبو حفص بعسكره من مراكش في شهر رجب 566هـ-1171م ،وكان برفقة أخوه السيد أبو سعيد عثمان[2] وابن همشك وعدد من الأشياخ والحفاظ الموحدين ، فلما وصلوا الى قرطبة ،أقاموا بها أياما، ثم عقد السيد أبو حفص اجتماعا وذلك لدراسة خططهم النهائية لقتال ابن مردنيش وغزو بلاده، وخرجت القوات الموحدية من قرطبة متجهة إلى مرسية لغزو بلاد ابن مردنيش، وكانت أول قاعدة غزوها الموحدين من قواعد ابن مردنيش مدينة قيحاطة،[3] واستولوا عليها وقبض على قائدها الشرقي وأعدم بأمر من ابن همشك ، ثم واصلو زحفهم نحو مدينة مرسية ، وفي طريقهم

[1]- عنان ، **المرجع السابق** ، ص 40

[2]- أبو سعيد عثمان : ولا أباه سبتة وطنجة ، وقد تولى الجهتين في سنة 549هـ ، مضافا إليهما مالقة والجزيرة الخضراء ورفض الاعتراف لأخيه يوسف بالطاعة ، فقد كان له نشاط عسكري كبير في الأندلس ،توفي سنة 571هـ ، أنظر ابن القطان ، **المصدر السابق** ، ص 206

[3]- قيحاطة : مدينة بالأندلس من عمل جيان ، وكان عبد الله المعروف بالبياسي من بني عبد المؤمن لما نازعه العادل ونزل عليه في بياية فلم يقدر عليه استدعى النصارى وسلم لهم بياسة وأخرج منها المسلمين ، أنظر الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، المصدر السابق ، ص 188

استولوا على حصن الفرج[1] منتزه ابن مردنيش ومنزل لهوه وأنسه ، واستباحوا الرياض والبساتين وسائر القرى المجاورة حتى أذعن أهلها بالطاعة وابن همشك يقود الموحدين ويدلهم على خير الطرق والمسالك.[2]

ب- نهاية المملكة :

وفي ظل هذه الظروف التي يمر بها ابن مردنيش من اضطراب الأحوال والقلق ، قام أهل لورقة بالثورة على النصارى ببلدهم من أعوان ابن مردنيش، وحاصروهم بقصبة المدينة، وكان أبي عثمان بن عيسى قائد النصارى قد ضبط القصبة وتحصن بها، وبعثوا إلى الموحدين يستنجدون بهم ويستنصرون بهم علي عدوهم ويعلنون الولاء والطاعة، فسار السيد أبو حفص عن مرسية متجها إلي لورقة ودخلها وشدد الحصار على القصبة، وبعث مجموعات سرية للاحتلال البلاد والحصون، فقبضت أحد هذه المجموعات السرية على محمد بن القائد أبي عثمان بن عيسى وأمر السيد أبو حفص أن يأتي به إلى أبيه ، ربما ينزل عن القصبة ، لكن أبي عثمان أبي استمر في الامتناع ،وطال الحصار على النصارى ونفذت المؤونة، فألحوا عليه بالقول والكلام في التسليم وتوسط ابن همشك لأبي عثمان في النزول عن القصبة ومن معه بالأمان ، فنزلها ابن

[1]-الفرج : مدينة الفرج بفتح الفاء ،والراء المهملة ، ثم جيم وهي مدينة شرقي طليطلة وشرقيها مدينة سالم ، ويقال لنهرها وادي الحجارة ، ينسب إليها أيوب ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عوف بن حميد بن تميم ، أنظر شكيب أرسلان **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، ج1 ، ط1، المطبعة الرحمانية بمصر ، 1936م ص 70

[2]- عنان ، **المرجع السابق** ، ص ص 47 50

عيسى ومن معه وسلمت القصبة ، ودخلها الموحدين ورجع أبو عثمان القائد إلى مرسية وانصرف الذين كانوا معه بلورقة إلى بلادهم طالبين النجاة بأنفسهم.[1]

بعد فتح لورقة انصرف السيد أبو حفص من جديد إلى حصار مرسية ، فأعلنا أهل حصن ألش[2] الطاعة وأكثر الحصون المجاورة له والمنظمين إليهم ، فأمنوا وأحسن إليهم ،وبعد ذلك أعد السيد أبو حفص عسكرا من الموحدين بقيادة الشيخ المرحوم أبي إبراهيم إلى مدينة بسطة[3] ففتحها ودخلت في طاعة الموحدين وأمن أهلها مثل ما أمن غيرهم ،[4] وعقبتها جزيرة شقر حيث أعلن أهلها الدخول في الطاعة بزعامة أبي بكر أحمد بن محمد بن سفيان المخزومي ،وقاموا بطرد النصارى الذين كانوا بها فلما رأى أبو بكر ضعف ابن مردنيش وضغط الموحدين على قواعده دعا للموحدين ودخل في الطاعة ، استدعى ابن مردنيش آخاه أبو الحجاج يوسف بن سعد الذي كان نائبه في مرسية وأرسله في حملة مع خيرة فرسانه في منتصف شوال 566هـ،ورسم له الحصار والتضيق مدة شهرين وابن سفيان يقاوم ما استطاع،وابن سعد يوالي إرسال الجند لتشديد الحصار إلى أن وصلت رسل الجزيرة المستنجدين إلى السيد أبي حفص

---

[1]– ابن الآبار ، **المصدر السابق** ، ص318 ، أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 133

[2]– ألش : من كورة تدمير بينه وبين أريولة خمسة عشر ميلا ، وألش في مستو من الأرض يشقها خليج يأتيها من نهرها يدخل من تحت السور ويجري في جهاتها ،ويشق أسواقها وطرقها ، وهو ملح سبخي ومن ألش إلى لقنت خمسة عشر ميلا، أنظر الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 30

[3]– بسطة : من كورة جيان، مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش ، وهي ذات أسوار حصينة وبينها وبين جيان ثلاث مراحل، أنظر الحميري ،**الروض المعطار في خبر الأقطار** ، **المصدر السابق** ، ص 113

[4]–بن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 319

فوجه معهم القائد أبا هلال الشرقي الذي استطاع دخول الجزيرة وأن يقوم بضبطها وحمايتها أشهرا حتى مرض ابن مردنيش ولحق بمرسية عليلا.[1]

وفي هذه الفترة كان ابن مردنيش يخرج بقواته من حين إلى آخر، ويشتبك مع الموحدين في معارك طاحنة ، وكان أخوه السيد أبو الحجاج يوسف يتولى الدفاع عن بلنسية وقد اختلفت الروايات في موقف يوسف من أخيه في هذا الموقف العصيب ففي رواية أنه خرج عن أخيه وفر عنه،[2] ودخل في طاعة الموحدين قبيل وفاة أخيه بنحو عام ، وفي رواية أخرى أنه لما رأى تجهم الحوادث دعا في بلنسية لبني العباس وكاتب الخليفة المستنجد بالله، فكتب له بالعهد والولاية ثم بايع الموحدين ودخل في الطاعة سنة 566هـ ، يقول ابن عنان ." أن أبا الحجاج يوسف استمر يعمل إلى جانب أخيه بإخلاص، وأنه أختص بالدفاع عن قطاع بلنسية ، بينما تفرغ أخوه ابن مردنيش لمدافعة الموحدين في مرسي ".[3]

في ظل هذه الظروف انتهز ألفونسوا الثاني ملك أرجوان فرصة ضغط الموحدين على ابن مردنيش، وغزا أراضي بلنسية المتاخمة لحدود قطالونية، وقام بالاستلاء على العديد من المناطق

[1]– ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ،**المصدر السابق** ، ص 268

[2]– ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، **المصدر السابق**، ص 261

[3]–عنان، **المرجع السابق**، ص 51

والحصون، وقام بإرسال برية وأخرى بحرية لغزو بلنسية ، فتولى الرئيس أبو الحجاج أخو ابن مردنيش مدافعة الحملة البرية فهزمها وأحرق بعض من سفنها .[1]

وهكذا توالت النكبات علي ابن مردنيش وانقلاب أصهاره وإخوته عليه وتحولهم عن طاعته، فقد ثار عليه أيضا بالمرية ابن عمه وزوج أخته ابن صاحب البسيط[2] وساعده في ثورته صاحبه محمد بن هلال وأعلنوا بالدخول في الطاعة ، وخاطبوا السيد أبو حفص طالبين المساعدة، فاستجاب لهم وبعث لهم عسكرا من الموحدين معينا لهم ، ووصل الخبر إلى محمد وهو لم يزل محاصر بمرسية فأمر بقتل أخته زوجة محمد ابن عمه وبقتل أبنائها منه ، فأمر الموكل بعذاب الناس فأخذهم إلى البحيرة وكانت متصلة بالبحر فأدخلهم في قارب مع نفسه فلما توسط البحيرة أغرقهم على أبشع حال .[3]

يقول ابن عذاري المراكشي :" واختل ذهن ابن مردنيش في أثر ذلك وقل عونه من الله من الناس وعاد صبحه كالليل الحالك وفزع من أذيته جميع قرابته وسائر أهله ".[4]

بعد هذا النجاح الشامل والجهاد المتواصل الذي حققه الموحدين عبر الخليفة أبو يعقوب إلى جزيرة الأندلس في السابع والعشرين لرمضان من سنة ستة وستين، ووصل إلى اشبيلية يوم

---

[1]- **نفسه** ، ص51

[2]–محمد ابن مردنيش : المعروف بابن صاحب البسيط ، وهو ابن عم ابن مردنيش وزوج أخته ثار بالمرية وعاونه في ثورته صاحبه محمد ابن هلال وأعلانا الولاء والطاعة للموحدين، انظر بن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 320

[3]– المراكشي ،**المعجب** ، **المصدر السابق** ، ص 113

[4]–عنان ،**المصدر السابق**، ص 114

الجمعة 12 شوال من نفس السنة ،بلغ ذلك السيد أبا حفص فرفع الحصار عن مرسية وسار إلى اشبيلية للقاء أخيه الخليفة أبي يعقوب يوسف فوصل اشبيلية في الخامس عشر من محرم سنة 567هـ ، رفقة بعض أعيان وثوار الشرق الأندلسي الذين أعلنوا الولاء والطاعة للموحدين ، وقام أمير المؤمنين أبي يعقوب بن عبد المؤمن لهذه الغزوة الصدقات وفعل الخيرات. [1]

أيقن ابن مردنيش أنه لم تبقى له فرصة في الانتصار على الموحدين وأن الهزيمة مؤكدة وأن نهايته قد دنت ، غير أنه لم يفكر في أن يختم ثورته العتيدة وسلطانه العريض ، الذي دام حوالي ربع قرن ، بالتسليم المهين لمن اعتبرهم أعداء بلاده ، غير أنه لم يلبث أن حطمه اليأس والغم وانهارت إمارته[2]

[1]- ابن عذارى ، **المصدر السابق** ، ص314 ، أبو رميلة، **المرجع السابق** ، ص131

[2]-عنان ، **المرجع السابق** ، ص 52

المبحث الرابع:إعلان الولاء وتبعية بني مردنيش للموحدين:

اختلفت الروايات في تصوير ما حدث عقب وفاة الأمير محمد ابن سعد بن مردنيش وعن مصير عائلته وبلاده.

الرواية الأولى: أنه اثري وفاة محمد ابن مردنيش بادر قواده وأشياخه بالتوحيد والدخول في طاعة الموحدين، وأقنعوا ولده هلال ابن مردنيش، فقبل وانصاع لرأيهم وبادر بإعلان طاعته وتوحيده وخاطب بذلك أمير المؤمنين وسار إلى اشبيلية ليؤكد ذلك .[1]

وفي رواية أخرى: أنه لما مات محمد بن سعد بن مردنيش سترت وفاته إلى أن جاء أخوه أبو الحجاج يوسف بن سعد من بلنسية ، واجتمع مع أكابر ولد محمد بن سعد على الدخول في طاعة الموحدين، وأن يلقوا أيديهم في يد أمير المؤمنين أبي يعقوب وأن يسلموا إليه البلاد . ويقرن عبد الواحد المراكشي ذلك برواية أخرى : " إن أبا عبد الله محمد بن سعد حين حضرته الوفاة، جمع بنيه وكان له من الولد ثمانية ذكور ... وبنات تزوج إحداهن أمير المؤمنين أبو يعقوب وتزوج الأخرى أبو يوسف يعقوب بن يوسف.فكان فيما أوصاهم به أن قال:" يابني إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر، وأتباعهم قد كثروا ودخلت البلاد في طاعتهم، وإني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومته ، فسلموا إليهم الأمر اختيارا منكم، تحظوا بذلك عندهم، قبل أن

[1]– ابن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 379

ينزل بكم ما نزل بغيركم ، وقد سمعتم ما فعلوا بالبلاد التي دخلوها عنوة ، ففعلوا ما أمرهم به " على أن عبد الواحد لا يجزم أي الروايتين .[1]

لكن من المجزوم به أنه اثري وفاة ابن مردنيش تولى الأمر بعده ابنه أبو القمر هلال وبادر بالتخلي عن مرسية والإذعان بالطاعة للأمير أبي يعقوب ، فقام هذا الأخير بتوجيه أخوه السيد أبو حفص إلى مرسية ليتقبل طاعتهم ويتسلم مرسية وسائر بلاد الشق الأندلسي وأعلن الأمان للناس والأجناد كافة. [2]

سار ابن هلال رفقة إخوته وحاشيته وأصحاب أبيه من القواد والكبراء من أهل الثغور والأجناد إلي اشبيلية عقب شهر رمضان المبارك سنة 567هـ ، فسير أمير المؤمنين أخويه أبا زكريا يحي بن الخليفة رضي الله عنه صاحب بجاية وأبا إبراهيم إسماعيل، مع جماعة من أشياخ الموحدين أعزهم الله لاستقبال هلال وحاشيته، وتلقوه على أميال من اشبيلية، ودخل ابن هلال في صحبتهم إلى القصبة العتيقة في اشبيلية، وساروا إلى مجلس الخليفة أبي يعقوب رضي الله عنه قرب صلاة المغرب لتسليم عليه ومبايعته وجميع السادات حضور ، السيد الأعلى أبو حفص والإخوة كلهم وأشياخ الموحدين، وكان في وقت وصول هلال قد طلع هلال رمضان المعظم من عام سبعة وستين المؤرخ، فقال القاضي أبو موسى عيسى بن عمران بعد أن خطب وهنأ الحضرة العليا بما وجب لها: يا سيدنا أمير المؤمنين طلع علينا في هذه الليلة هلالان : هلال

[1]- المراكشي ، **المعجب، المصدر السابق** ، ص 210

[2]- عنان، **المرجع السابق**، ص 129

شهر رمضان، وهلال هذا بالطاعة، فاستحسن أمير المؤمنين كلامه هذا وتبسم، وأنزل هلال وأصحابه بقصر محمد بن عباد أمير اشبيلية الرفيع الشأن العظيم البنيان وقد غمرهم الخليفة بوافر عطفه وإكرامه، فقد أعدت لهم الفرش والبسيط والمطاعم والمشارب، وأفهموا أنهم الأقارب والأصحاب ورحبت بهم المملكة الخلافية، والدولة الإمامية.[1]

وفي اليوم التالي قدم الشيخ أبو عثمان سعيد بن عيسى رفقة قادة الشرق إلى الخليفة وأبدوا رغبتهم في أن يقوم بغزو من جاورهم من بلاد النصارى ، وقد عينوا مدينة وبذة هدفا لهذا الغزو، وذلك نظرا لضعف تحصينها وأسوارها فوعدهم الخليفة بتحقيق رغبتهم.[2]

يضيف لنا ابن الخطيب رواية أخرى ملخصها: أن الأمير محمد بن سعد لما يئس من نفسه، وأيقن بتصير ملكه إلى الموحدين، أشهد على نفسه بإيصاء يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله، ورغب منه في قبول الوصية، وجلب إليه ولده بعد موته، فرق لهذا القصد الأمير أبو يعقوب، واهتز لوعي هذه الوسيلة ، وتزوج زائدة إحدى بنات أبي عبد الله بن سعد وحفيدة ابن همشك، وتم الزفاف في ربيع الأول سنة 570هـ ،فحظيت لديه وغدت أحب النساء إليه، وأكثرهن نفوذا إليه وعلى حد قول ابن الخطيب:"حتى كان الناس يضربون المثل بحب الخليفة للزرقاء المردنشية" وهكذا قرب الأبناء، وخلط أهله بنفسه ،واتفق لأهلها من

[1]– بن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 318

[2] – عنان، **المرجع السابق**، ص 56

البخت ما لم يتفق لثائر ولا مخالف ملك من أعادته إلى ملكه ، وجعل لهلال الشرق الأندلسي في زمن غير يسير حتى أنه أعطاه في يوم واحد اثني عشرة ألف دينار.[1]

كما جعل الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد واليا على بلنسية وجهاتها ، وقدم غانم بن مردنيش على أساطيل العدوة بسبتة وبذلك استفادة الموحدون من خبرة أفراد رجال هذه الأسرة في البحرية الموحدية .[2]

[1]–ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، **المصدر السابق**، ص 271، عنان، **المرجع السابق**، ص 56، ابن الآبار **تحفة القادم** ، **المصدر السابق** ، ص 104

[2]– أبو رميلة ، **المرجع السابق** ، ص 117

تعتبر إمارة ابن مردنيش من أهم الحقبات التاريخية التي مرت بها بلاد الأندلس، إذ كانت وليدة للفراغ السياسي والعسكري وجاءت في فترة ما بين نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ومن خلال معاينتنا للموضوع تمكنا من استخلاص عدة جوانب كانت مهمة من بينها:

اختلفت علينا الروايات حول أصله إلا أنه كان من المولدين الثائرين في شرق الأندلس، وكانت صفاته تشبه النصارى إلى حد كبير مما جعله يكون سندا لهم ضد الخطر الموحدي.

قيام إمارة ابن مردنيش لم تكن إلا وليدة لعدة ثورات قامت بالأندلس ضد المرابطين حيث ثار عليهم أهل الأندلس لما عانوه من الظلم والاستبداد و كان من بينهم ابن عياض الذي اسند الملك بعد موته إلى محمد بن سعد بن مردنيش لما رأى من حنكته وشجاعته في الحروب.

قام محمد بن سعد بن مردنيش بتأسيس إمارته في شرق الأندلس مستغلا الظروف القائمة في الأندلس واستعان بصهره ابن همشك وعقد عدة تحالفات معه ومع مماليك النصارى مما أثار الرعية عليه إلى أن وصل بهم الحد أن طعنوه في دينه و ولائه للإسلام.

أظهر ابن مردنيش شجاعته وفطنته حيث تمكن من فرض هيمنته على شرق الأندلس و أصبح يمثل الخطر بالنسبة للدولة الموحدية ناهيك عن ملوك النصارى الذين وضعوا ابن مردنيش كخط دفاع أول ضد الموحدين وأصبح حليفهم.

وساعدوه على وقف الزحف الموحدي وبذلك تطور العداء بينه وبين الموحدين فقامت عليه عدة ثورات وتمكن من القضاء عليها والتي كانت بدورها مدعمة من الموحدين مما أزعج الخليفة الموحدي و جعله يرى ابن مردنيش قبلته الحربية.

أستطاع ابن مردنيش أن يكون شخصية بارزة في شرق الأندلس ولا يمكننا أن ندرج ثورته ضمن القومية الأندلسية، لأن أهل ذلك الزمان لم ترسخ بعد في عقولهم و يمكننا القول أن المجتمع الأندلسي لم تكن تجمعه روابط عرقية وذلك من خلال ثورة ابن مردنيش التي شهدت ربع قرن دون أن يجد أي تعاون من الأندلسيين.

صال ابن مردنيش وجال في أنحاء الأندلس واستطاع الاستلاء على معظم الأماكن الموجودة في شرق الأندلس وخاض عدة معارك ضد الموحدين.

إلا أنه في نهاية مشواره نشبت بينه وبين أعوانه عداوة مما أضعفت شوكته وبالأخص مع صهره ابن همشك ومن هنا بدأت مظاهر الضعف و الانهيار.

كان من العوامل التي أضعفته مصادقته مع النصارى و كذلك إنشقاق أنصاره عنه، فكان محتما على ابن مردنيش أن يموت قهرا من الأوضاع الأخيرة التي وصل إليها و أظهر بعده ابنه هلال بن مردنيش الولاء والطاعة للموحدين وعمل بنو مردنيش في ظل الحكم الموحدي.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا:المصادر:

1. ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: مؤنس،ج 2، القاهرة: دار المعرفة، ط2، 1985.

2. ابن أبي زرع روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط صور للطابعة والوراقة، 1972.

3. ابن الأبار، تحفة القادم ،تح: د حسان عباد، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986م.

4. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج2، ط1، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى، مصر، 1974.

5. ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،ط1، تونس، د ت.

6. ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تح: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988.

7. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تح: إبراهيم الكتاني ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

8. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة بيروت، ط 3، 1983.

9. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة. د ت.

10. أبو محمد الرشا طبي وابن الخراط الاشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار الأنوار تح ايميليو خاشينتو بوسك بيلا، د ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي مدريد، 1990.

11. أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير، ت 630 هـ، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقان، مج 9، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003.

12. أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تر: كارول يوحن كرونبرغ، د ط، دار الطباعة المدرسية أوبسانة 1823.

13. أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خليكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تح: د إحسان عباس مج7، د ط، دار صادر، بيروت، د ت.

14. أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار، ت (595هـ-1266م) ، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج2 ، ط1، دار المعارف، 1963.

15. أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري عبد المنعم ،صفة جزيرة الأندلس .، تح: أ.ليفي بروفنسال، ط2 ، دار الجيل، بيروت، 1988.

16. أحمد بن يحي بن أحمد بن أبي جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.

17. الحميري، روض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس، مؤسسة ناصر ثقافي، لبنان 1979.

18. الزركشي، تاريخ الدولة الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور ،المكتبة العتيقة، تونس 1968

19. شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، المطبعة الرحمانية بمصر 1936م .

20. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،معجم البلدان مج4، د ط دار صادر بيروت، 1977.

21. طارق محمد سويدان ،الأندلس التاريخ المصور ،ط1،شركة الإبداع الفكر، افريل2005.

22. عبد الملك بن صاحب الصلاة ، ت(594هـ- 1198م)، المن بالإمامة ، تح: عبد الهادي التازي ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964.

23. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح:محمد سعيد العريان وآخرون ط1،مطبعة الاستقامة، القاهرة.

24. عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح:حسين مؤنس، ط1 مكتبة الثقافة الدينية، 1997.

25. لسان الدين ابن الخطيب السلماني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، د ط ،دار المكشوف، د ت.

26. لسان الدين الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977.

27. مجهول، تاريخ الأندلس، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،2007.

28. محمد عبد المنعم الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار،تح: د إحسان عباس، ط1 مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

29. محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،ج1، تح:علي الرازي وآخرون ط1،دار الغرب الإسلامي، 1988 .

30. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح: سهيل زكار، وعبد القادر زمامه ط1،دار الرشاد الحديثة، 1179.

ثالثا المراجع:

1. إ. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر:محمد عبد الله عنان،ج1،مكتبة الخانجي الناشر القاهرة،1997.

2. توفيق مزاري عبد الصمد، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين، د ط منشورات دار الثقافة حسن الحسني، المدية، 2010 .

3. حسن علي الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ط1،كلية دار العلوم، جامعة القاهرة مصر، 1980.

4. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ط15، دار العلم للملايين، د ت.

5. راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط،ط1،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع 2011.

6. سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بيروت:دار النهضة العربية، ط1، 1985م .

7. العبادي أحمد بن مخطار، صور في حياة العرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعرف،الإسكندرية ط1 2000.

8. عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي، د ط، الجزائر 2007.

9. عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، دط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ت.

10. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510هـ-546هـ)،(1116م-1151م)،ط1،بيروت.1188م.

11. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1990.

12. محمد محمود، علاقة مملكتي قشتالة أراغونة سلطنة المماليك، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، القاهرة، د ت.

13. مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1994.

14. هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ط1،دار الفرقان،1984.

15. يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة ج1، 1997.

صورة لمحمد بن سعد بن مردنيش[1]

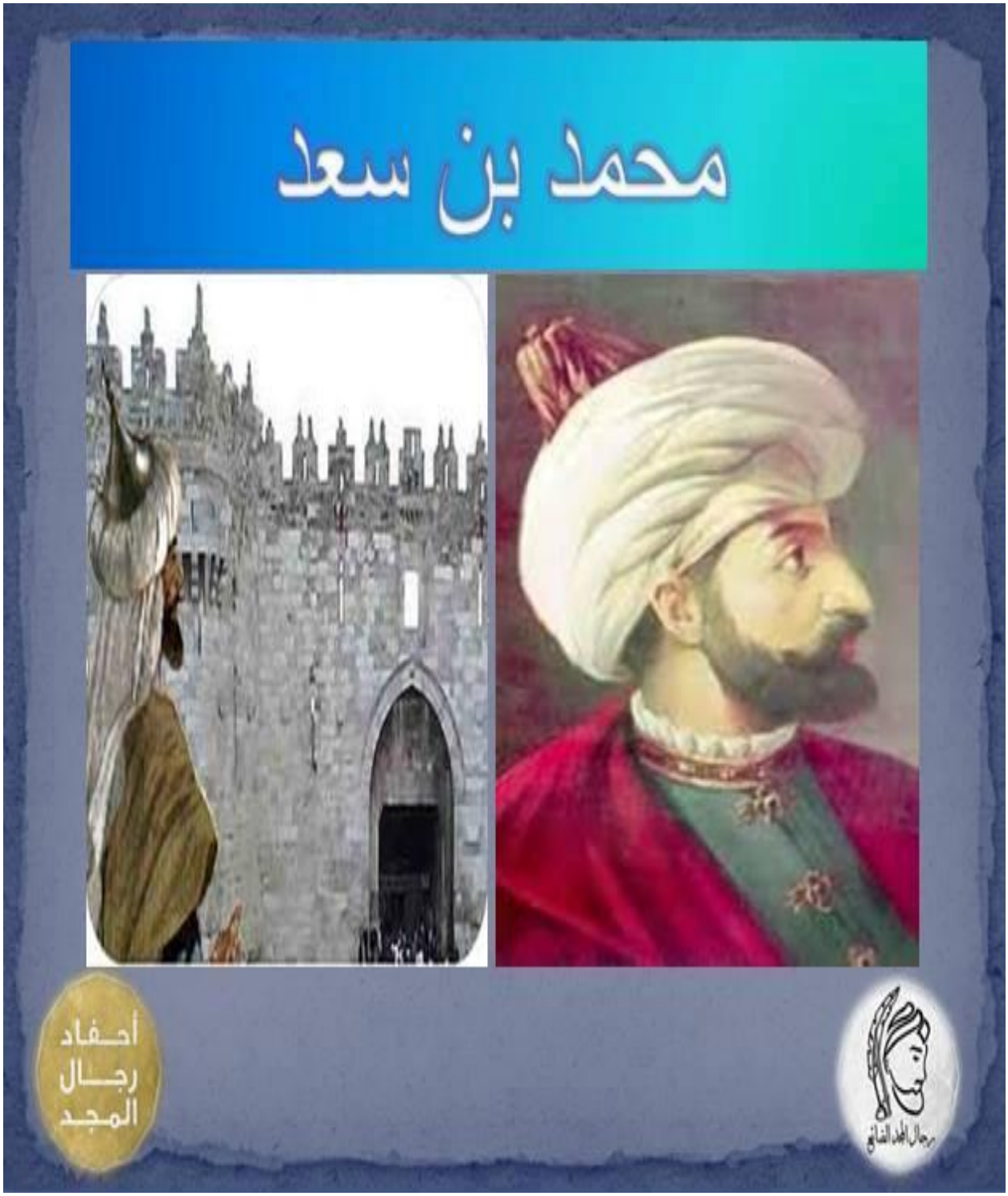

1- htp// : www.hukam.net

الملحق رقم: (2)[2]

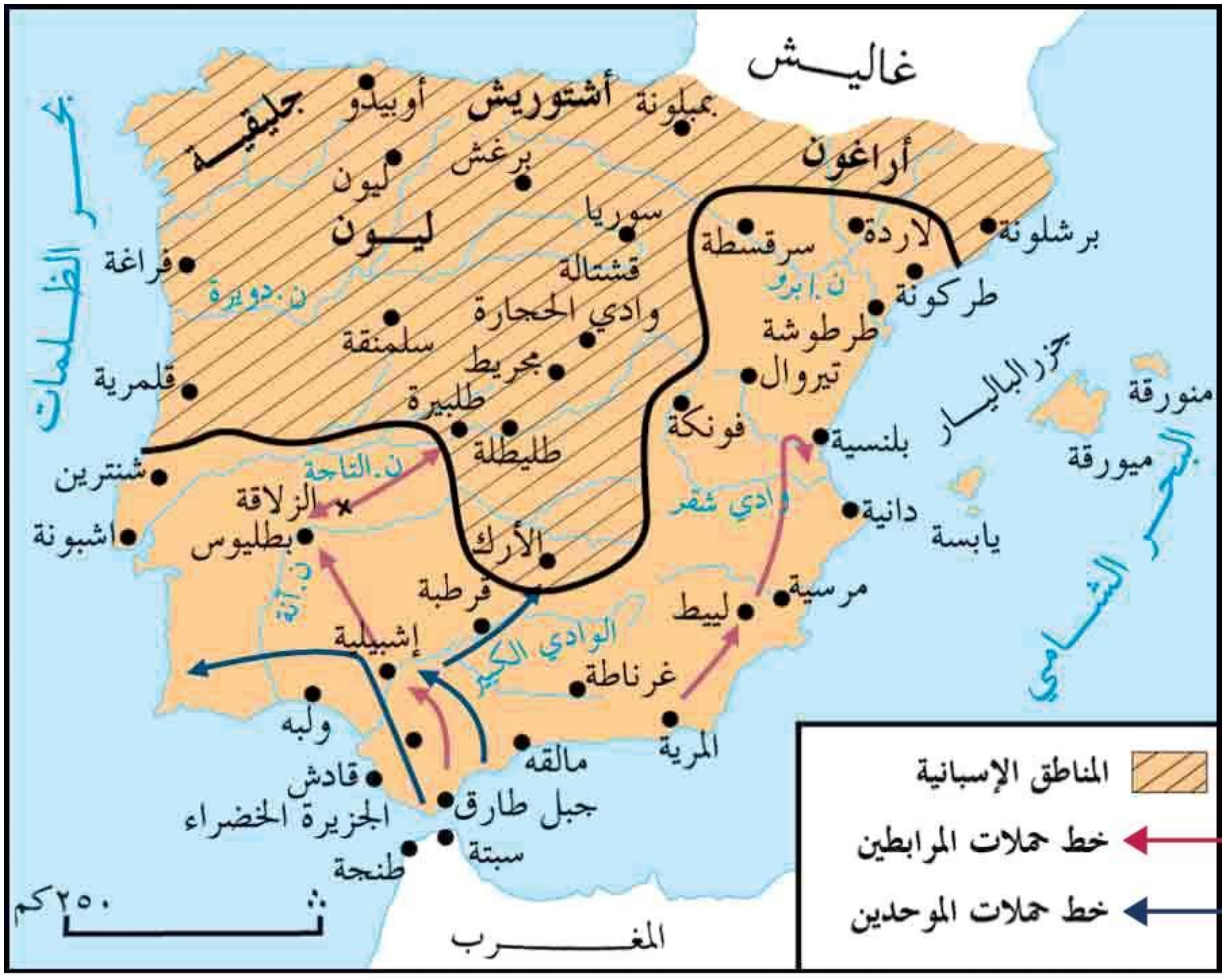

الأندلس في ظل المرابطين والموحدين

[2] - http// : www.hukam.net

الملحق رقم: (3)[3]

[3]- htp// : www.hukam.net

الفهـــرس

الموضوع:	الصفحة
التشكرات	
الإهـــداء	
قائمة المختصرات.....	
مقدمة عامـــة	أ
مدخـــــل.....	7
الفصل الأول:إمارة ابن مردنيش في شرق الأندلس.....	13
المبحث الأول: نسبه وحياته.....	14
المبحث الثاني:ظروف توليه للإمارة.....	21
المبحث الثالث: العوامل التي أدت إلى قيام الإمارة	32
المبحث الرابع:تأسيس الإمارة.....	35
الفصل الثاني:الدور السياسي والعسكري لإمارة ابن مردنيش.....	37
المبحث الأول:علاقته مع النصارى.....	38
المبحث الثاني:صراع مع الموحدين.....	40
المبحث الثالث: نهايه المملكة المردنيشية	53
المبحث الرابع: إعلان الولاء وتبعية بني مردنيش للموحدين.....	65
خـاتمة عـامـــة.....	70
الملاحق.....	72
قائمة المصادر والمراجع.....	77
الفهرس.....	83